الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولاي طاهر * سعيدة *

كلية العلوم الإنسانية

قسم :التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د تخصص التاريخ السياسي و الحضاري لبلاد الأندلس

بعنوان

محاكم التفتيش و دورها في محاربة الموريسكيين

من إعداد الطالبين

- مهدي العيد
- علو محمد

تحت إشراف الأستاذ

دلباز محمد

لجنة المناقشة

الأستاذة..... قراوي نادية .....رئيسا

الأستاذ .....شباب عبد الكريم .....مناقشا

الأستاذ..... دلباز محمد .....مؤطرا

2016/2015

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولاي طاهر * سعيدة *
كلية العلوم الإنسانية
قسم :التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ل.م.د تخصص التاريخ السياسي و الحضاري لبلاد الأندلس

بعنوان

محاكم التفتيش و دورها في محاربة الموريسكيين

من إعداد الطالبين

- مهدي العيد
- علو محمد

تحت إشراف الأستاذ

دلباز محمد

لجنة المناقشة

الأستاذة..... قراوي نادية .....رئيسا

الأستاذ .....شباب عبد الكريم .....مناقشا

الأستاذ..... دلباز محمد .....مؤطرا

2016/2015

شكر وعرفان

يا رب لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضا والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجعل ليلها كنهارها وتركها على المحبة البيضاء لا يزيغ عنها إلا مالك صلوات الله وتسليماته عليه كل ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

نتقدم بفائق الشكر والتقدير والاحترام إلى الأستاذ الفاضل "**دلباز محمد**" المشرف على هذا العمل وكان له الفضل في إرشادنا وإمدادنا بالنصائح التي ساعدتنا كثيرا في بحثنا هذا ولا ننسى أيضا أساتذة شعبة العلوم الإنسانية وخاصة تخصص التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الأندلس الذين لم يبخلوا علينا بشئ .

والى كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة ولا أنسى أصدقائي أيضا لهم الفضل في هذا العمل. ونشكر طلبة السنة الثانية ماستر تخصص التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الأندلس.

اهداء

اهدي ثمرة جهدي الى كل عائلتي أمي التي وهبتني كل الحنان والعطاء

وأبي الذي سهر من أجلي

والى كل اخوتي

الى كل عائلة علو – يعقوبي

الى كل أصدقائي الذين عرفتهم في حياتي

والى كل أساتذة التاريخ الذين كانوا عونا

قائـمــة المختصرات:

الرمز	المعنى
ج	الجزء
ط	الطبعة
ص	الصفحة
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ع	عصر
ق	قسم
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
p	page

خطة البحث:

مقدمة

مدخل

الفصل الأول :الموريسكيون وبداية المعاناة

المبحث الأول : تعريف الموريسكيين

المبحث الثاني : سقوط غرناطة

المبحث الثالث : سياسة التنصير

المبحث الرابع : ردود فعل الموريسكيين

1 . الهجرة

2 . التقية

3 . الثورة

الفصل الثاني: محاكم التفتيش .

المبحث الأول: تعريف ونشأة محاكم التفتيش.

1 – تعريف محاكم التفتيش.

2 – نشأة محاكم التفتيش.

المبحث الثاني: أساليب محكم التفتيش والمراسيم الملكية.

1 – أساليبها.

2 – المراسم الملكية.

المبحث الثالث: أهداف محكم التفتيش ومن يدعمها.

1 – أهدافها.

2 – من يدعمها.

المبحث الرابع: سجون محكم التفتيش وأنظمتها.

1 – سجون محاكم التفتيش.

2 – أنظمتها.

مقدمة

مقدمة :

عرفت بلاد الأندلس من أروع وأزهى الحضارات التي شيدها المسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية، والتي كانت اللبنة الأولى التي استسقى منها المسيحيون مادتهم الأولية في تشييد حضارتهم، فمازالت اليوم الصروح والقلاع والمباني وبصمة يد المسلمين تشهد على هذا الرقي الحضاري مثل قصر الحمراء وغيرها من المباني.

رغم ما قدمه المسلمون لهاته المجتمعات فقد عانوا كل المظالم وأنواع الاضطهاد من طرفهم وخاصة في حقبة بعد سقوط غرناطة حين أفل نجم المسلمين حيث عاش في هاته الفترة مجتمع عرف بالموريسكين وهم أخر المسلمين الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معقل إسلامي سنة 1492.

هذه الفئة لم تسلم من كيد وشر النصارى، فقد عاشوا صراعا اعتبر امتدادا للصراع المسيحي الإسلامي الذي مازال قائما إلى يومنا هذا، استعمل الكاثوليكيين كل وسائل التعذيب والبطش والتهجير وحرق الممتلكات وتسبب الأذى للمسلمين وخاصة على يد محاكم التفتيش .

إن المجتمع أو كما عرفوا بالموريسكين أو النصارى الجدد كان لهم فضل كبير في الحياة الثقافية والحضارية وما حملوه من قيم تعاليم الدين الإسلامي فقد نكل بهم شر تنكيل من طرف ملوك النصارى وخاصة بما عرف بمحاكم التفتيش اليد التي كان يبطشون بها.

يبرز الموضوع مدى الحقد الكبير الذي كان يكنه النصارى لأخر مجتمع إسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية وكل ماله علاقة بالمسلمين ويتضح ذلك في كل أساليب الاضطهاد التي تعامل بها النصارى مع هاته الفئة المسلمة .

وللموضوع أهمية كبيرة كونه يسلط الضوء على أخر المجتمعات الإسلامية بالأندلس التي عرفت بمنجزاتها الحضارية والثقافية، وما لاقوه من طرف الاسبان من تعذيب وتشريد ونهب في الأموال والبنين

على الرغم من الأهمية الكبيرة التي يكتسيها هذا الموضوع فإن الدراسات حوله كانت قليلة، أو إنها لم تجمع بين الطرفين الموريسكيون ومحاكم التفتيش، وهو الأمر الذي شجعنا للبحث فيه، بالإضافة إلى ذلك الإنتاج الحضاري التي وصلت إليه هاته المجتمعات في الحياة اليومية .

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية: من هم الموريسكيين ؟ وما هي الطرق التي اتبعوها في الدفاع ومجابهة النصارى ؟ وما مصير هاته الفئة؟ وكيف نشأت محاكم التفتيش ؟ وما الأساليب التي انتهجتها في حق هاته المجتمعات ؟

وللإجابة عن هاته التساؤلات اتبعنا خطة مكونة من مقدمة ومدخل اشرنا فيه إلى الأندلس تسمية، وموقعها الجغرافي ومميزاته بالإضافة إلى توالي سقوط المدن الإسلامية بالأندلس مثل طليطلة،بلنسية، قرطبة، اشبيلية.

ثم فصلين في الفصل الأول : الموريسكيون وبداية المعانات يندرج تحته أربعة مباحث، المبحث الأول يشير إلى التعريف بالموريسكيين، وفي المبحث الثاني سقوط غرناطة آخر معقل إسلامي، والمبحث الثالث سياسة التنصير التي انتهجها ملوك الاسبان، أما المبحث الرابع فقد اشرنا فيه إلى ردود فعل الموريسكيين من الهجرة والتقية والثورات، ثم الفصل الثاني : محاكم التفتيش ويحتوي على أربعة مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى تعريف ونشأة محاكم التفتيش، وفي المبحث الثاني إلى أساليب محاكم التفتيش ومن يدعمها أما في المبحث الثالث أهداف محاكم التفتيش ثم المبحث الربع بعنوان سجون محاكم التفتيش،وختمنا دراستنا بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات حول الموضوع المدروس ثم مجموعة من الملاحق وقائمة والمصادر والمراجع ومجموعة الفهارس.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الاستقرائي الذي يقوم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع وتحليلها تحليلا تاريخيا، ومناقشة الأحداث قصد الوصل إلى الحقائق التاريخية قدر الإمكان.

واجهتنا صعوبات في انجاز هاته الدراسة لعل أبرزها ضيق الوقت، بالإضافة إلى نقص المصادر المتعلقة بالموضوع، ووجود في استسقاء المعلومات من بعض المصادر لصعوبة اللغة المستعملة.

وقد استعنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر ومراجع أهمها:

- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (776-717 هـ/ 1313-1374م) وهو من المصادر المهمة والتي لا غنى عنها في دراسة تاريخ الأندلس .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب للمقري التلمساني (1041 – 1631م) وهو كتاب مهم يحمل في قسمه الأول التعريف ببلاد الأندلس من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط آخر معقل إسلامي بالأندلس .
- نبذة العصر لمؤلف مجهول وهو من المصادر الأساسية والمهمة، وخاصة أن صاحبه قد اهتم بسقوط غرناطة وحصارها وتسليمها .

-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي المتوفى سنة (546هـ / 1166م) وهو من المصادر الجغرافية المهمة، يحوي على الجانب الجغرافي للأندلس وموقعها بالإضافة إلى مواقع مدنها .

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي المتوفى سنة (621هـ/1224م) وهو أيضا من المصادر الجغرافية المهمة والمتعلقة بأخبار المغرب الإسلامي بصفة عامة .

بالإضافة إلى كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب تفسير ابن كثير ابن كثير .

بالإضافة إلى هاته المصادر فقد استعنا بعدد من المراجع حول تاريخ المغرب والأندلس، وعدد من المقالات باللغة العربية والأجنبية وبعض الرسائل الجامعية.

كما أننا لاننسى المؤتمرات واللقاءات العلمية التي تدرس الموضوع وخاصة التي تقوم في بلادنا مثل جامعة سيدي بلعباس تحت إشراف الدكتور حنيفي هلايلي، ونرجوا أن تكثر مثل هاته المؤتمرات العلمية والتي تهتم بهاته الفئة حتى يعاد لكل ذي حق حقه، وان لاينسى من دافع عن الإسلام يوما باعتباره ديانتنا.

مـدخـــــل

المدخل:

الأندلس الاسم العربي لشبه جزيرة ايبريا كان أول ظهوره عند العرب، وأصله مشوب ببعض الغموض شأنه في ذلك شأن الاسمين القديمين: ايبريا عند اليونان واسبانيا عند الرومان و يجدر بنا ألا نحفل كثيرا بالاشتقاق الذي ذهب إليه العرب بإرجاع اللفظ الى أسماء الأجداد الأول وقولهم إن البلاد سميت باسم أندلس بن طوبال ابن ياخث وقد تكون هناك صلة بين هذا الاسم وبين اسم القبيلة الجرمانية " القندال"[1] .

لفظة الأندلس هي كلمة عذبة ولفظة ذات جرس وإيقاع تنزل من نفس العربي منزلة النغم الحلو من أذن الموسيقار وأطلق كتاب العرب اسم الأندلس على شبه جزيرة ايبريا المكونة من دولتي اسبانيا والبرتغال الحاليتين وكان إطلاقهم هذا الاسم بطريق التغليب، والواقع أن الأندلس هو إقليم في جنوب اسبانيا، وتقول بعض الروايات أن العرب أخذوا اسم الأندلس من اسم سكانها الأصليين الغاندلسين VANDALES فقالوا فاندليس أو فاندالوزيا VANDALITIA وأطلقوا عليها اسم الجزيرة وفي الاسبانية اند لوثياANDALUCIA وهي في الأصل فند لوثيا سميت بذلك من الفندالية وهي أمنة [2].

1. ج.س كولان ،**الأندلس**،ترجمة: عبد الحميد يونس وآخرون ،ط1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص17.
2. سامي الكيالي ، **في الرجوع الاندلسية** ، حلب ،1963،ص14،16 .

نزلتها في القرن الخامس للميلاد ، وقد ذكر المقري أنها سميت بذلك باسم أول من سكنها على قديم الزمن ، وهم قوم من الأعاجم يقال اندلوش ، وذكر ابن الأثير أن النصارى يسمون الأندلس اشبان باسم اشبانس أحد ملوكها [3]، والأندلس هي احدى مقاطعات اسبانيا ، واسمها في الأصل وندلوسيا نسبة إلى الوندال أو الفندال و كانوا قد استوطنوها بعد الرومان .. فلما فتحها العرب سموها الأندلس ، ثم أطلقوا هذا الاسم على اسبانيا كلها [4]. وقال ابن سعيد: انما سميت بأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة ، قال: وأهلها يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم اما عرب أو متعربون.[5]

قال ابن خلكان في ترجمة إبراهيم بن خفاجة: و الأندلس بفتح الهمزة و سكون النون و فتح الدال المهملة و ضم اللام، و بالسين المهملة هي جزيرة متصلة بالبر الطويل، و هو متصل بالقسطنطينية العظمى، وانما قيل للأندلس جزيرة لأن البحر محيط بها من جميع جهاتها، الا الجهة الشمالية.[6]

و كلمة الأندلس ليست عربية أطلق العرب أول الأمر اسم الأندلس على اسبانيا الإسلامية جميعا و على الجزيرة الابيرية كلها حين سيطروا على معظمها، ثم تقلص هذا الاسم تدريجيا مع تقلص الواقع السياسي حتى صار لا يدل على أكثر من الجنوب الاسباني ثم أضحى في النهاية مرادفا لمملكة غرناطة.[7]و ربما كانت صيغة قنداليشيا تطلق على إقليم بتيقاBAETICA القديم الذي احتله القندالأو على ثغر ترادكتا TRADUCTA الذي عبر منه الفندال إلى افريقية و يقول بعض الكتاب العرب انه عين البلد الذي عرف فيما بعد باسم القائد المغربي طريف، و لكن من المرجح أن تكون ترادكتا هي الجزيرة الخضراء ALGECIRAS.

---

1. سامي الكيالي، **في الرجوع الأندلسية**، المرجع السابق، ص16.
2. جرجي زيدان ، **فتح الأندلس**، دار الهلال، 1892، ص05.
3. أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تحقيق: احسان عباس، ج1، بيروت، ص125.
4. محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ط1، تح:علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،مج:1،ص151.
5. شاكر مصطفى،**الأندلس في التاريخ**، ط1، دار الاشبيلية، دمشق، 1990، ص06.

ويكون الفاتحون وفقا لهذه النظرية قد أطلقوا اسم المدينة الصغيرة أو الإقليم على المنطقة التي عرفها الرومان و القوط باسم بتيقا ثم على شبه الجزيرة بأسرها.[8]

الحدود الجغرافية لبلاد الاندلس:

إن لبلاد الأندلس مسيرة شهر وأربعة أيام طولا في مسيرة ثمانية عشر يوما عرضا وقد أحاطت بها البحار من كل ناحية وهي اخذة في الطول من البحر الغربي من مدينة أشكونية إلى منعرج البحر الجنوبي المحيط عند جبل الزهرة فيما جاوز مدينة طركونة و مدينة برشلونة و هنالك باب الأندلس.[9]

وهي تقع في الجنوب الغربي من أوربا و تسد البحر الأبيض المتوسط من الغرب حاجزة بينه و بين المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) واذا كانت عقدة الجبال بيرنه (البرانس أو البرتات كما يسميها العرب) تربط ما بين أوربا بين اسبانيا في شمالها بالممرات التي تقطعها فإنها في الوقت ذاته تحول بينها و بين الانفتاح الكامل على أوربا و يقوم البحر المتوسط و المحيط الأطلسي في شرقها و غربها أما في الجنوب فيفصلها من البر الافريقي ممر مائي ضيق، قريب الاجتياز و تضاريس شبه الجزيرة الابيرية تشبه تضاريس المغرب أكثر من شبهها بأوربا فهي جبال و هضاب تسير من الشرق الى الغرب تقطعها الوديان التي تسير فيها أنهار اسبانيا.[10]

و الأندلس أندلسان فالأندلس الأدنى مبتدأه من ناحية الشرق، ماضيا مع جبل البرنيو مع الجوف حتى إلى مدينة قنتابرية و كورة اشتورية الى البشقنس و الأوريطيين وهم غربه حتى يبلغ البحر الأوسط عند ساحل قرطاجنة، والأندلس الأقصى حده من ناحية الشرق بل البشقنس و الشلطبريين و الأوريطيين و في الجوف و الغرب منه البحر الغربي و في القبلة البحر الذي يحيط بقادس و الخليج الخارج المتصل ببحرنا الذي يسمى بحر تيران.[11]

---

1. ج.س كولان، المرجع السابق، ص18.
2. لويس مولينا، **ذكر بلاد الأندلس**،ج1، مدريد، 1983، ص09.
3. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 06،07.
4. حسين مؤنس، **الجغرافية و الجغرافيين في الأندلس**، ط2، مدريد، 1986، ص49.

و يحدها في الشمال البحر المحيط و الجبال الفاصلة بينها و بين فرنسا و في الجنوب بوغاز جبل طارق و في الغرب مملكة البرتوغال و في الشرق البحر الأبيض.[12]

المميزات الجغرافية لبلاد الأندلس:

فهي من نفائس جزائر البحر و من الجلالة في القدر بما حوته و اشتملت عليه بمجال،و فيها غامر و أكثرها عامر مأهول، و يغلب عليها المياه الجارية و الشجر و الثمر و الأنهار العذبة و الرخص و السعة في جميع الأحوال الى نيل النعيم و التملك الغاثي في الخاصة و العامة، فأما مغرب هذه الجزيرة فمن مدخل خليج المغرب المذكور و مصب مائه على البحر المحيط من نواحي لبله و جبل العيون.[13]

و هي بلاد حسنة الهواء طيبة الماء طولها أربعون يوما يشقها أربعون نهرا لا يوجد هذا في معمور الأرض الا فيها، و هي أبرك بقاع الأرض و أكثرها نسلا، و ذلك لأنها صقع صغير و فيها ثمانون مدينة من القواعد الكبار و مثلها و أزيد من الصغار، وليس في معمور الأرض صقع أصغر من هذا الصقع يجد فيه المسافر ثلاث مدن و أربع مدن قريبة بعضها من بعض الا في الأندلس، و من بركتها أنه لايمشي الانسان فيها فرسخين دون ماء، و لا يمشي ثلاث فراسخ الا و جاء فيها الخبز و الزيت في الحوانيت على طول سفره.[14]

فقد خصها الله بغذق السقيا و لذاذة الأقوات، و فراهة الحيوان و درور الفواكه و كثرة المياه و تبحر العمران، و جودة اللباس و شرف الانية و كثرة السلاح و صحة الهواء، ونبل الأذهان و قبول الصنائع و ابيضاض ألوان الإنسان و شهامة الطباع و نفوذ الإدراك[15] و قال ابن خرداذبه في كتاب المسالك و الممالك له أن الأندلس شامية وهي بلد كريم البقعة طيب التربة خصيب الجنان تتفجر

1. الهيام فارس، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط1، 1284، ص349.
2. ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت،1992، ص ص104،105.
3. أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد،ص80.
4. المقري، المصدر السابق، ص 126.

بالأنهار و العيون العذبة قليلة الهوام المؤذية ذوات السموم معتدلة الهواء و الجو و النسيم فصولها الأربعة على صدر أعدل الاعتدال و فواكهها ملاحقة ببواكر السواحل و متأخرة الجبال و الأماكن الباردة و لها خواص هندية و عقاقير عطرية، و بها المدن المحصرة و المعاقل المنيعة و القلاع الحريزة و المصانع الجليلة و المباني العالية و لها البر و البحر و السهل الوعر.[16]

والأندلس شامية في طيبها و هوائها يمانية في اعتدالها و استوائها هندية في عطرها و ذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحلها.[17]

ثانيا : سقوط الأندلس

سقطت الأندلس لتشتت أهواء أمراءها وأصبح بعضهم لا هم لهم ، سوى كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به أيامه و استرسلوا الى اللذات وركنوا إلى الرامات ووسد الأمور إلى الضعاف فكثرت المظالم والمغارم ، وكثر الثوار مرات بشرق الاندلس وغربها من القضاة وغيرهم وهكذا تبدد شمل الجماعة[18]، فتعددت الإمارات وعداوة بعضها البعض، فدب الخلاف بين أمراء المدن الذي أعلنوها إمارات مستقلة ، وبرز الخلاف على السلطة عاقبته وخيمة فتفرقت الكلمة ، وأصبحوا يدعون بأمير المؤمنين في كل رقعة من الاندلس فمنهم من سمي بالمأمون ومنهم من سمي بالمعتمد حتى قال الحسن بن رشيق :

مما يزهدني في ارض اندلس سماع معتصم فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يبكي انتفافا صولة الأسد

وظهر المعاصي والترف واهمال امر الجند اذ الجند عماد المعركة واهمال امرهم وعدم تسليمهم وتدريبهم

1. لويس مولينا، المرجع السابق، ص09.
2. عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، دار الجيل، بيروت،1988، ص 04.
3. مؤلف مجهول، **غابر الأندلس وحاضرها** ، ط1، 1923، المكتبة الاهلية ، مصر، ص145 .

خيانة لله ورسوله وللمؤمنين كيف لا وقد قال الله تعالى :" **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" [19].**

وكذلك تجمع جيوش الكفر على المسلمين وبطء نجدة المسلمين لإخوانهم ومراوغة الاسبان لحكام المسلمين[20]

سقوط طليطلة:

سقطت سنة 478هـ_1085م من طرف ملك قشتالة ليون الفونس السادس من بني ذي النون بعد حصار خمس سنوات قاصما بذلك ظهر الأندلس فهي خط الدفاع الثاني و مفتاح الشمال كله و المطالبة بما كان انتزعه المعتمد من أملاكها،[21] و قد انتهج السياسة الذي نجح بحيلة السياسي البارع في احتلالها دون إراقة الدماء ،[22] و لهذا كان سقوطها كارثة كبرى للاسلام و شطر بلاد المسلمين الى شطرين و تمزيق شملهم و لم يحاول الملك الفونسو السادس و هو في نشوة النصر أن يستمع الى نصائح مستشاريه المستعربين الذين كانوا يؤمنون بالحضارة الأندلسية، و يرون في الأندلسيين اخوانا و جيرانا لهم بجيوشه نحو مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى للمسلمين و حاصرها بغية الاستيلاء عليها،[23]و هذه تحاصر سبعة شهور و قيل تسعة شهور،[24] التي مزقتها الحروب الأهلية بين المؤتمن ابن المقتدر الذي خلف أباه و بين أخيه المنذر صاحب لاردة فقد توجه الفونسو عقب استيلائه على طليطلة نحو سرقسطة و أقسم بايمانمغلضة أن لا يبرح مكانه حتى يفتحها أو يموت دونها

و لم تجد شيئا محاولات المستعين معه بإغرائه بدفع الاتاوات و الجزية و ما شاء من الأموال و التحف و الهدايا التي يرغب فيها شريطة أن يرفع حصاره عن المدينة.[25]

---

1. سورة الأنفال الآية: 60 .
2. محمد بن حسن بن عقيل موسى،**استجابات إسلامية اعرفات أندلسية**، دار الأندلس الخضراء،1415 جدة ،ص35،36 .
3. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص85.
4. ج.س. كولان، المرجع السابق، ص132.
5. أحمد مختار العبادي، **تاريخ المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، ص ص261،262 .
6. موسى محمد بن حسن بن عقيل، المرجع السابق، ص41.

1. يوسف أحمد دعواتي، **بنو عباد في اشبيلية**، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980، ص257.

سقوط بلنسية:

و بلنسية تحاصر عشرين شهرا حتى أكل الناس الفئران و الكلاب و الجياف و وصل بهم الأمر الى أن من مات منهم أكلوه،[26] فاستولى الفونسو باسم القادر ابن ذي النون على بلنسية و ملكه إياها أو بمعنى أدق جعله نائبا عنه في حكمها، و بعث الى المقاطعات التي استطاع السيطرة عليها من ينوب عنه في حكمها.[27]

وقد سار القادر و جماعته صوب بلنسية، برفقة سرية قوية من الجنود القشتاليين، أمره بها أدفونش بقيادة البارهانش لكن الفنش كان يعرف أن تمكين القادر من الاستيلاء على بلنسية سيجعلها و توابعها واقعة تحت حمايتها، وصلت هذه القوة بلنسية لإخضاعها و جرت مراسلات مع أهلها و وعود من القادر لهم انتهى الأمر بالموافقة على مطالب القادر و استبعاد مطالب أحمد المستعين ابن هود منافس القادر و خلع أبو عمرو عثمان، و دخل القادر و جنود قشتالة المدينة، ساءت أحوال بلنسية بسوء السياسة و ارهاق أهلها بالضرائب لسداد مطالب القشتاليين.[28]

عقد المستعين حلفا مع رذريق، المتحالف مع ملكي أراغون و نبارة، و أراد الفونش انتقاما من رذريق الاستيلاء على بلنسية فعقد حلفا مع جمهور بني جنوة و بيزة في إيطاليا، لتعاوناه بالأساطيل في تحقيق ذلك و سار الفونش صعوبة موقفه، فرفع الحصار عن بلنسية راجعا الى قشتالة، و انتقم رذريق لنفسه.[29]

كتب رذريق إلى ابن جحاف أن يترك بلنسية له بعد اخراج المرابطين منها، و كانت تلك خديعة يقصد من ورائها اضعاف المدينة حين يعود لمحاصرتها، و شدد الطاغية الحصار حول المدينة الباسلة و كثر عيشه حولها و قطع الأقوات عنها، حتى لا يطول ثباتها لكن ابن جحاف قرر المقاومة

2. محمد بن حسن بن عقيل موسى، المرجع السابق، ص40.
3. يوسف أحمد دعواتي، المرجع السابق، ص257.
4. عبد علي الحجي، **التاريخ الأندلسي مع الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ط2، دار القلم،دمشق،1981، ص ص367،368. عبد الرحمان علي الحجي، المرجع نفسه، ص372.

حتى النهاية استمر الحصار عشرين شهرا، استسلمت سنة 487هـ في جمادى الألى منها، بعد أن عاث رذريق فيما حولها عيث الأعداء الحاقدين.[30]

قرطبة:

وإذا انتقلنا إلى قرطبة بدءا من عصر الفتنة و حتى ينتهي عصر الطوائف بقدوم المرابطين فاننا نجد أنواعا من التكالب المادي فمع بداية القرن الخامس الهجري و بداية انحلال الرابطة الأموية و تمزق الأوضاع ظهر التكالب المادي في أسوء صوره، فعندما ولي محمد بن هشام بن عبد الجبار عن طريق السوقية و العامة: سر أهل قرطبة بولاية محمد بن هشام "16 جمادى الاخرة 399هـ" على حساب الخليفة الرسمي هشام بن الحكم سرورا عظيما و أحدثوا برحاب قرطبة و أرباضها ولائم و أعراسا.[31]

و أخيرا كانت الطامة الكبرى، في شهر شوال سنة 633هـ يونيو 1236م، التي سقطت قرطبة على اثرها و تفرق أهلها، و لم تقم بعدها لهم و لا لها قائمة.[32]

1. عبد الرحمان علي الحجي،المرجع نفسه،ص ص375، 373.
2. عبد الحليم عويس،التكاثر المادي و أثره في سقوط الأندلس،ط1، دار الصحوة، القاهرة،1994،ص21،22.
3. أحمد فكري،قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص267.

اشبيلية:

و اشبيلية سقطت بعد أعمال حربية استغرقت عدة سنوات و حصار لمدة سنة و نصف، و اندفع في غزوه لمملكة اشبيلية بلغت الشاطئ الجنوبي للأندلس عند جزيرة طريف.[33]

و لما اشتد الحصار على أهل اشبيلية 645هـ صنع إبراهيم بن سهل الإسرائيلي قصيدة يستنفر بها الغزاة من العدوة و يستنصر بأمراء العرب، مستهلها:

يا معشر العرب الذين توارثوا شيم الحمية كابرا عن كابر

ان الاله قد اشترى أرواحكم بيعوا و يهنئكم وفاء المشترى[34]

و قد ضاق الأمر بالمعتمد بن عباد جدد مراسلة سلطان النصارى يستصرخ به فبعث اليه جيشا أوقع بالمرابطين المحاصرين لأهل جيان استأصلتهم و لأجلها ذهبوا الى المطالبة بدمه عند خلعه لو اتفقت الفتيا بذلك، ثم وصل النصارى الى بلمة من أحواز اشبيلية، فكانت بينهم و بين جيوش المرابطين وقعة تناصف فيها المسلون، و عند ذلك يئس ابن عباد و أيقن بالغلبة و ترامى الناس من فوق أسوار اشبيلية، واستدعى أهلها أمراء المرابطين و ركب المعتمد و قد اقتحم البلد الثلاثاء منتصف رجب من سنة 484هـ، و في يوم الأحدلعشر بقين من رجب فتحت المدينة فوقع النهب و فر أهلها الى المحلة و خرج ابن عباد و ابنه مالك فقتل مالك بين يديه و كونر المعتمد فأغمد سيفه و انصرف الى القصر ملقيا بيده، ووقع البربح بكف الأيدي ثم أخرج المعتمد فغرب مكبولا.[35]

توالي سقوط المدن:

---

1. محمد بن حسن بن عقيل موسى،المرجع السابق، ص41.
2. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص85.
3. لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، تحقيق و تعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ص ص163،164.

و أخذ العدو جزيرة شقر صلحا سنة تسع و ثلاثين و ستمائة في اخرها.[36]

و كان استيلاء الإفرنج على شرق الأندلس شاطبة و غيرها و اجلاؤهم من يشاركهم من المسلمين فيما تغلبوا عليه منها في شهر رمضان سنة خمس و أربعين و ستمائة.[37]

و كان يملك العدو مرسية صلحا ظهر يوم الخميس العاشر من شوال قدم أحمد بن محمد بن هو ولد والي مرسية جماعة من وجود النصارى فملكهم إياها صلحا و لا حول و لا قوة الا بالله .[38]

استولى النصارى على مدينة لوشة 26 جمادى الأولى عام 891هـ، فبينما المسلمون كذلك بين حرب و صلح اذ بصاحب قشتالة دمره الله قد أقبل بمحلته على مدينة لوشة، فحاصرها العدو حصارا شديدا و نصب عليها عدته و اقترب اليها بجيشه و الة حربه حتى دخلوا ربضها و هدموا بعض أسوارها و قتل كثير من نجدة الرجال و اشتد عليهم الحصار، فلما رأى أهل لوشة ما لا طاقة لهم به من شدة الحصار و كثرة جموع النصارى و تأخير أهل غرناطة من نصرتهم طلبوا الأمان و اتفقوا على أن يخرجوا مؤمنين بأموالهم و أولادهم.[39]

المدن التي تغلب عليها النصارى في الحد الجنوبي المشرقي على ساحل البحر الرومي: مدينة برشنونة ثم مدينة طركونة، ثم مدينة طرطوشة، و المدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور: مدينة سرقسطة، و لاردة و أفراغة و قلعة أيوب هذه كلها يملكها صاحب برشنونة لعنه الله و هي الجهة التي تسمى أرغن و في الحد المتوسط ما بين الجنوب و المغرب من المدن: مدينة طليطلة و كونكة و أقليج و طلبيرة و مكادة و مشريط و وبذ و أبلة و شقوبية هذه كلها يملكها الأدفنش لعنه الله و تسمى هذه الجهة قشتال.[40]

---

4. أحمد المقري، المصدر السابق، ج4، ص472.
1. أحمد المقري، المصدر نفسه، ص472.
2. نفسه، ص472.
3. مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تعليق: ألفريد البستاني، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2002، ص17.
4. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، ص453.

سقوط غرناطة:

و مع ظهور الملكين الكاثولكيين فيرديناند الأراغوني و إيزابيلا ملكة قشتالة أصبح هجوم النصارى يتم في تناسق تام و يوجه على نطاق واسع فسقطت لوشة 1486م، و بالش، مالقة و ألمرية في العام التالي و بسطة عام 1489م، و أخيرا استسلمت غرناطة في 02 ربيع الأول عام 897هـ – 03 يناير 1492م[41]

و التي كانت مسألة الاستيلاء عليها بالنسبة لهم مسألة وقت، قام فيرديناند و ايزابيلا بارسال رسالة الى عبد الله الصغير يأمرانه بتسليم غرناطة و قصور الحمراء، لقد قامت عدة عمليات حربية على مشارف غرناطة استبسل فيها العرب على الرغم من محاصرتهم بجيوش كبيرة مجهزة بشكل واف، سار فيرديناند بجيش تراوح ما بين 50- 80 ألف مع مدافع و ذخائر و أقوات و عسكر على ضفاف نهر حدارة و اتلف الحقول و الزروع و القرى كي لا تمد غرناطة بأي طعام،[42] و قام فرسان العرب بأروع ضروب الشجاعة و الاقدام و لما لم يجد العرب فائدة من مقاومة العدو، أغلقوا أبواب مدينتهم و قاوم أهل المدينة المحاصرين الجوع ثمانين يوما حتى أهلكهم، و توسلوا الى السلطان أبي عبد الله بطلب الصلح و في 25 نوفمبر 1491م وقعت شروط التسليم، و دخل الملك المدينة بجيوشه و العرب في حزن على ما أصابهم، و نصب علم قشتالة و أراغون فوق قمة برج المدينة و سلم أبو عبد المدينة الى فيرديناند و ولى منطلقا الى الجبال و عاد الى افريقية هو و قومه و قضى بها ما تبقى له من العمر.[43]

1. ج، س، كولان، المرجع السابق، ص139.
2. عبد الحكيم الذنون، **آفاق غرناطة**، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص ص50،51.
3. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب و الأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، ص303.

لقد ذهبت قوتك و عظمتك يا غرناطة.

و ذهب جمالك ايتها المدينة ذات الغياظ و النافورات

و تجارتك التي كان الناس يقصدون شوارعك من أجلها.

قد ذهبت هي أيضا!

لم يعد التجار يتزاحمون على ابوابك مثقلين بالبضائع الأجنبية.

و المدن التي كانت تدفع لك الجزية قد انتزعت منك كلها.

و مباريات الفرسان لم تعد تبهج الناظرين في ساحاتك.

لأن فرسانك_ واحسرتاه!_ سقطوا في المعارك.

نعم فان قصر الحمراء لا تزال ترتفع ابراجه من غابات البرتقال.

و لكن قاعاتها يسودها الحزن و الكآبة.

والملك ينظر من شرفات قصره ليرى سهولا جرداء.

حيث كانت الغياظ يانعة مزدهرة.

بهذه الكلمات و الأبيات، ارتفع صوت شاعر متفجع على حالة غرناطة التي لم تعد تمثل الا شبح عظمتها الماضية.[44]

---

1. واشنطون ايرقينغ، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص433.

الفصل الأول

الفصل الأول :الموريسكيون وبداية المعاناة

المبحث الأول : تعريف الموريسكيين

المبحث الثاني : سقوط غرناطة

المبحث الثالث : سياسة التنصير

المبحث الرابع : ردود فعل الموريسكيين

1 . الهجرة

2 . التقية

3 . الثورة

المبحث الأول : تعريف الموريسكيون .

الموريسكيون أو الموريسكي من المصطلحات المتداولة في التاريخ العربي والإسلامي، لكنه مع ذلك يظل مفهوما مبهما بحكم التعريفات المتعددة والمختلفة من باحث لآخر.

ففي المفهوم العام يأتي مصطلح الموريسكيين للدلالة التاريخية للتعريف بآخر مسلمي الأندلس أو العرب المنصرين أو الذين فرض عليهم التنصير القصري مابين 1499 – 1526م وبقي أولادهم حتى عمليات الطرد النهائي سنة 1609م .

أما لفظ موريسكي هو من أصل لاتيني إغريقي موري Mauri حسب رأي المؤرخ الروماني سالسيتو أن هذه التسمية تطلق على مجموعة بشرية ذات البشرة السمراء، أما الأصل لتسمية الإغريقية فهو من " أموروس " Amaurus وتعني داكن البشرة ومن هناك يشتق الصفة مورو Moro وتعني شديد السمرة .[1]

أما في اللغة الإسبانية تشير إلى أن كلمة موريسكي مصدرها كلمة مورو باللغة اللاتينية وتعني سكان شمال إفريقيا[2]، ثم تحولت إلى لفظة موريسكي Morisco ليشمل معناها المسلمين الذين بقوا في اسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط المدن الإسلامية الأندلسية، وأجبروا على إعتماد المسيحية [3].

---

1. محمد دلباز، الموريسكيون : **الإيطار التاريخي والديني للتسمية**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 03-04، الجزائر، 2011، ص52
2. Ravaillard Martin : Morisque Bibeliographie, parais, 1982, p 06
3. محمد عبده حتاملة، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، عمان :الأردن، 2010، ص169.

يرى ليفي برفنال أن الموريسكيون Morisco كلمة اسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان، وفي معجم اللغة الأكاديمية الملكية الإسبانية نجد تعريف الموريسكي "كلمة تطلق على كل المغاربة الذين بقوا وتعمدوا بعد استعادة اسبانيا"[1]

أما ليوناردو هارفي يرى أن اسم الموريسكيين يطلق على المسلمين الذين بقوا في الأندلس تحت السلطة النصرانية وواجهوا محاكم التفتيش [2]

لقد ظل هذا الإسم مستخدما حتى حولي القرن 16م أطلق على المسلمين الذين أجبروا على التنصير باسم "النصارى الجدد" [3]، وقد شمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م والذين أرغموا على اعتناق الدين المسيحي الكاثوليكي.

ويعرف أيضا إسم الموريسكيين باللغة الإسبانية Morisco وهو تصغير للفظ مورو Moro ويقصد بها التحقير ولإساءة، وفي بعض الأحيان تعني مسلم عربي وأحيانا مغربي و خاصة من يقطن منطقتي موريطانيا و طنجة، ولذلك فإن ترجمة Morisco تعني: المسلمين المنبوذين.[4]

وفي القاموس الاسباني نجد ان معنى كلمة موريسكيين: مسيحس اسبانيا المنصرين بالقوة بداية من القرن 16م .[5]

---

1. ليوناردو هارفي، **تاريخ الموريسكيين السياسي والثقافي والإجتماعي**،ط1، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، 1998، ص319 .
2. جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492–1610**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص42.
3. محمد عبده حتاملة، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة: دراسة شاملة**، الأردن، 2000، ص1112.
4. الشدادي، **سقوط غرناطة ومصير الأندلس**،مجلة المنطق، العدد 6-7 ،1993، ص100 .
5. Diccionario de historia de España Madrid, 1970, p 1130 .

وقد كان يتم تحديد الموريسكي خلال القرن 16م فيؤخذ نسب الأب ودينه، فقد كانوا يعتبرون الموريسكيين أبناء الزيجات المختلفة حتى يتبنوا نصرانيتهم [1].

ويشير تقرير رفعه المطران ريبيرا إلى الملك فيليب الثالث سنة 1601م إلى أن الموريسكيين هم الذين " لا يعترفون ولا يتقبلون البركة،ولا الواجبات الدينية الأخيرة، ولا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون النبيذ، ولا يعملون من الأمور التي يعملها النصارى " [2].

إن هذا اللقب الجديد يقصد به الإشارة إلى ذلهم وحقارتهم والتقليل من قدرهم، أظهر العديد من المسلمين المسيحية وأبطنوا الإسلام، وأطلق على هؤلاء الموريسكيون Los moriscos أي المسلمين الصغار، تلك هي المسألة التي استحالت فيها الأمة الأندلسية بالتنصير المفروض إلى طائفة جديدة عرفت منذ ذلك التاريخ بالموريسكيين أو المسلمين الأصاغر أو العرب المتنصرين فهم الذين أرغموا وأبنائهم على التنصر، ولكنهم بقوا في أغلب الأحيان أوفياء لدينهم الإسلامي[3] .

---

1. أنطونيو دومينقر هورتز وبيرنارد بنثنت، **تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون حياة ...ومأساة أقلية**، تر: عبد العال صالح طه، ط1، دار الأشراف للطباعة والنشر،قطر، 1988، ص110 .
2. محمد عبده حتاملة، المرجع السابق، ص1113 .
3. محمد دلباز، المرجع السابق، ص54 .

هناك إجماع عام حول الفترات الثلاث للصراع المسيحي الموريسكي التي تتمحور حول ثلاثة أحداث حاسمة: تنصر المدجنين[1] القشتاليين 1500- 1502م ،ثورة الموريسكيين الغرناطيين 1568-1570م ،والطرد العام 1609-1614م [2] .

لقد ظهرت أولى المجتمعات الموريسكية سنة 1501م بمملكة غرناطة حيث كانوا يستعملون إسمين اسم إسلامي، وآخر مسيحي، فالأول خاص بهم يتداولونه فيما بينهم بينما الثاني يستعملونه في الوثائق الرسمية والمعاملات الإدارية، وكانوا عادة يدلون بالإسمين معا لدى الدوائر الرسمية [3] .

لقد بقي الموريسكيون يعانون من بطش الكاثوليكيين مدة قرن وبضع سنين على يد مجاكم التفتيش[4] التي كان لها الدور البارز لإجتثاث الشعائر الإسلامية القائمة ودفع الموريسكيين إلى الإندماج التام في الإيمان الكاثوليكي، ولذلك تمكنت تلك المحاكم من التدخل في مختلف جوانب الحياة اليومية كلها، فليس مستغربا أن تكون محاكم التفتيش في نذر الموريسكيين رمزا للإرهاب والقهر[5].

والأهم من ذلك أن جميع هاته المحاولات باءت بالفشل لصرف المسلمين عن دينهم، فقد ظلوا على دين آبائهم ويعيشون عاداتهم وتقاليدهم في حياتهم اليومية على الغم من كل التهديدات والحظر والتعسف في حقهم .

---

1. المدجنون: هم يختلفون كثيرا عن الموريسكيين ويتمثل الفرق في أمرين وهما: أن الموريسكيين كانوا مسلمين باطنا أو سرا، ونصارى ظاهرا أو علانية بينماظل المدجنون على إسلامهم ظاهرا والأمر الثاني هو أن الموريسكيين ظهروا بعد سقوط غرناطة أما المدجنون قبل سقوطها .
2. أنطونيودومينغيث أورتيث وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، تر: محمد بنيانة، ط1، 2013، أبوظبي، ص19 .
3. محمد قشتيتيلو، **حياة الموريسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها**، ط1، المغرب، 2001، ص10 .
4. محاكم التفتيش: هي منظمة بدأت سنة 1478م أنشأت على يد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وازابيلا لإضطهاد آخر مسلمي اسبانيا . عبيد اسحاق، **محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص39 . وللإستزادة حول محاكم التفتيش ينظر الفصل الثاني .
5. أسعد حومد، **محنة العرب في الأندلس وإسبانيا**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص173 .

المبحث الثاني : سقوط غرناطة 1492م .

يقال غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمي وهي مدينة كرة ألبيرة بينهما فرسخان وثلثا فرسخ[1] .

تقع مدينة غرناطة في واد عميق يمتد منحدرا من الشمال الغربي لجبال سيرانيفادا وتحيط بها الآكام والغابات العالية من الشرق ومن الجنوب[2]،تعرف بكثرة أنهارها وحلتها الخضراء والحدائق وجمال انبساط مروجها خاصة بالمنطقة الجنوبية، احتوت على حوالي ثلاثمائة قرية تعج بالمحاصيل والحبوب .

يمدحها ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" يقول:" ويحف بصور المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى، البساتين العريضة، والأدواح المعلقة، فيبصر سورها خلف ذلك كأنه من دون سياج كثيفة، تلوح نجوم الشرفات البيض أثناء اخضراره،فلا تتعرى في جناته من الكروم الجنات جهته، وأما المرج الشهير أو الفحص فقد كان بسيطا رائع الخضرة، يشبهونه بغوطة دمشق، وتخترقه الجداول والأنهار،ويغص بالقرى والجنات، ويهرع إليه الرواد في ليالي الربيع والصيف، فيغدو مسرح الأسمار والأنس"[2].

فقد كان موقع شبه الجزيرة الإيبيرية المكسب الأكبر في جعلها جنة مليئة بالخيرات حيث وصفها الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق" فقال:" وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب "[3] .

---

1. ابن خطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ص22 .
2. المصدر نفسه، ص29 .
3. الإدريسي، **نزهة المشتاق**، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية والأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص153 .

لقد كانت المدينة ذاتها نموذجا بديعا للعمارة الإسلامية، تحوي الصروح والأبنية الفخمة، وتتخللها الميادين والطرق الفسيحة، وكانت مدينة الحمراء أو دار الملك أروع ما فيها، تطل على أحيائها من الشرفات البيض، والأبراج السامية، والقصور الرفيعة، تغشي العيون وتبهر العقول .

كان سقوط غرناطة نهاية للحضارة العربية الإسلامية بالأندلس وانتصارا للحضارة الغربية، لقد كان سقوطها نعمة على قوم ونقمة على آخرين، نقمة على المسلمين فقد اعتبروها رمزا للإسلام بالأندلس، لأنها كانت عبارة عن هوية كل مسلم بالأندلس، ونعمة على الإسبان الذين جعلوا من سقوط غرناطة ضوءا لحركة الإسترداد وتوحيد اسبانيا دينيا وجغرافيا .

حاولت غرناطة الصمود في وجه غارات المسيحية الإسبانية المتكررة مغتنمة تماسك جبهاتها الداخلية من جهة وتنازع المماليك المسيحية في الشمال من جهة أخرى، وبسبب إنخفاض المساعدات والإمدادات المغاربية سواء من بني مرين أو بني زيان وراجع ذلك إلى الأزمات الإقتصادية والسياسية فيها، حتى بدأت جيوش اسبانيا الموحدة في تحقيق مشروعها التوسيعي غرناطة .

إن توالي سقوط المدن الأندلسية الإسلامية بداية بسرقسطة سنة 1112م، وطرطوشة ولاردة سنة 1148م، وأشبونة 1147م، وجزيرة ميورقة 1229م،وأبدة 1233م،وقرطبة حاضرة الأندلس 1236م، وبلنسية 1238م، وشاطبة ودانية 1240م، ومرسية 1242م، وجيان 1246م، وإشبيلية 1248م[1] .

---

1. جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492–1610م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص73 .

وما هي إلا سنوات حتى سقطت مالقة سنة 1478م، ثم بسطة 1489م، ولم تبقى إلا غرناطة آخر معقل إسلامي[1] .

يعتبر توالي سقوط المدن الإسلامية بالأندلس بداية العد التنازلي لمدين غرناطة وانهيار الدولة الإسلامية بالأندلس، فقد توجهت الأنظار نحوها وخاصة بعد اتحاد مملكتي قشتالة وأراغون سنة 1477م بعد أن تم الزواج بين إيزابيلا ملكة قشتالة مع فرناندو الخامس ملك أراعون، وهذا ما أظهره أحد الشعراء الأندلسيين قائلا:

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم ما انتقام بها إلا من الغلط

السلك نشر من أطرافه ورأى سلك الجزيرة منشورا من الوسط

من جاور الشر لا يؤمن بوائقه كيف الحياة مع الحياة في سخط [2] .

إن الحصار الشديد وتضييق الخناق على مدينة غرناطة، يعد سببا في جعل الملك أبو عبد الله محمد الصغير على فتح باب المفاوضات، كانت في البداية سرية عقدت مع الملكين الكاثوليكيين فرناندو و إزابيلا .

لقد أجرى الملك الصغير مع بعض معاونيه لقاءات سرية دون معرفة أغلبية أهل غرناطة، وأما في الجهة المقابلة مثل إيزابيلا أمين سرها فرناندو دي زفرة وغونتالو القرطبي لمعرفته باللغة العربية وعادات وتقاليد العرب، وقد دارت هذه المفاوضات السرية أغلبها في الليل في غرناطة أو قرى مجاورة لها .

---

1. هلايلي حنيفي، **الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين 16 و 17م: مقاربات جديدة في الهجرة والإسهام الحضاري**، ط1، دار الأصول للطبع والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014، ص29 .
2. المقري، المصدر السابق، ص576 .

انتهت هاته المفاوضات إلى شروط تسليم غرناطة في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة 1491م الموفق ل 21 محرم 897هـ على أن تدخل قوات قشتالة بعد 60 يوما[1] .

ولما تسربت أنباء المعاهدة إلى داخل غرناطة أعلنوا الثورة على الملك الصغير، فاتفق وإيزابيلا على تأخير أجل تسليم المدينة إلى الثاني من كانون الثاني سنة 1493م .

فدخلت طلائع جيوش النصارى رافعة علم قشتالة على الحمراء وأعدت العدة لدخول إيزابيلا وفيرناندو عاصمة آخر الموقع الإسلامية بشبه الجزيرة الإيبيرية .

إن التاريخ يعيد نفسه فهته الحرب بين غرناطة وقشتالة ما هي إلا امتداد إلى حرب بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، فلا يؤخذ عهد مع النصارى مصداقا لقوله تعالى:"**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملتهم**" [2] .

بعد سقوط غرناطة في يد الإسبان لاقى المسلمون في بداية الأمر معاملة حسنة، وذلك احتراما لمعاهدة التسليم وخير المسلمون بين البقاء بإسبانيا أو الجواز إلى العدوة المقابلة أو مكان آخر، حتى إنهم لاقوا معاملة حسنة من الملك فرناندو نفسه من العناية الإحترام، بالإضافة إلى مساعدة الإسبان لهم في العبور وعدم المضايقة حتى وصل بهم الأمر أن قالوا:" أنتم الآن عند ملكنا وأكرم منا"[3]، وما هي إلا مراوغة من السياسة الإسبانية .

لم يكن ينتظر المسلمين بع السقوط غير الإبادة[4] !

إن الولع الشديد للملكة إيزابيلا بجمال مدينة غرناطة وشغفها بها جعلتها محطة أنظارها، بالإضافة إلى حقد الملكين الكاثوليكيين على المسلمين أدى إلى خرق معاهدة تسليم غرناطة فهاته المعاهدة لم تكن إلا مراوغة من النصارى خوفا من اتحاد المسلمين وظهور مقاومة.

---

1. عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة**، القاهرة، 2001، ص105 .
2. سورة البقرة، الآية 120 .
3. مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص43 .
4. رائف أحمد، **وتذكروا من الأندلس الإبادة**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987، ص309 .

بعد كل محولات الثوار المسلمين والملك أبو عبد الله الصغير وفي سنة 1490م/896هـ هاجم الإسبان غرناطة وأفسدوا الزرع هدموا القرى وبنوا سورا وأخذوا يضيقون على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر، واشتد الحصار على المسلمين إلا أن غرناطة كانت تحصل على الإمدادات من البشرات من ناحية جبل شلير، لكن الطبيعة لم تكن لصالحهم فلما دخل فصل الشتاء انقطعت طريق الإمدادات وقل الطعام وعظم البلاء سنة 897هـ/1491م .

بعد كل هاته المعانات قرر الغرناطيون قبول دخول ملك قشتالة إلى غرناطة، ونزل سلطان غرناطة عن الحمراء ودخلها القشتاليون بموجب معاهدة تتألف من 67 شرطا سنة 1491م [1] .

وفي شهر جانفي 1492م خرج أبو عبد الله الصغير من غرناطة وأمه السيدة عائشة الحرة تمسح دموعه قائلة:

ابك مثل النساء ملكا مضاعفا لم تحافظ عليه مثل الرجال [2]

وتسلم الملك الكاثوليكي فرناندو مفاتيح المدينة من يد أبو عبد الله الصغير قائلا:" إنهما مفتاحي هذه الجنة، وهما الأثر الأخير لدولة المسلمين بأسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا وهكذا قضى الله فكن في ظفرك رحيما عادلا"[3] .

وتسلم الملك فرناندو المفتاحين قائلا: "لا تشك في وعودنا ولا تغرانك الثقة خلال المحنة، فسوف نعوض لك صداقتنا ماسلبه القدر منك"[4] .

---

1. محمد عبده حتاملة، مرجع سابق، ص621 .
2. جمال يحياوي،مرجع سابق، ص38 .
3. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس :نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**،ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص38 .
4. المرجع نفسه، ص220 .

انزل العلم الغرناطي من فوق برج الحراسة الذي يتوسط مبنى القلعة القديمة في الحمراء باعتباره أكبر وأعلى أبراج الحمراء ليحل محلة العلم الإسباني .

وهكذا انتهى آخر مظهر من مظاهر السيادة العربية الإسلامية بالأندلس بعد أن تواصلت ما يقارب من ثمانية قرون في ظل الراية الإسلامية، سطر العرب خلالها سجلا حافلا بالمجد والمتعة والتقدم في جميع مناحي الحياة، مما يعد فخارا للإسبانيين [1] .

---

1. عبد الحكيم ذنون، **آفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي**،ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص71 .

المبحث الثالث: سياسة التنصير

هي مدة قصيرة تفصل عن سقوط غرناطة في أيدي النصارى حتى بدأ النصارى في إظهار نيتهم المخفية، فما هي إلا صفحة من التعصب الديني المسيحي الكاثوليكي ضد المسلمين .

وعلى الرغم من إعادة الشرط الرابع من معاهدة تسليم غرناطة والتي جاء فيها:" يسمح صاحبا السمو وسلالتهما، للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم، أي ممارسة الشعائر الإسلامية، دون المساس بسكناهم وجوامعهم وأبراجهم، وسيأمران بالحفاظ على مواردهم وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاياهم حسب ما جرت عليه العادة، وسيكونون موضع إحترام من قبل النصارى كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين" [1] .

فهاته هي حال النصارى جعلوا المعاهدات لتنقض رغم هذا النص الصريح الذي يسمح للمسلمين بممارسة عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية والعيش بسلام وحرية .

وفي عهد شارل الخامس اعتمدت السياسة الإسبانية على محورين هما التنصير والإدماج في حق الموريسكيين الأندلسيين .

إن الإضطهاد الذي لاقه الموريسكيون في سياسة التنصير القصري جعلهم يرفعون مطالبهم إلى الملك، التي حملت ترغيمهم على اعتناق النصرانية دون تلقينهم مبادئ الإيمان المسيحي، حينها اجتمع رجال الدين وقضوا بأن تنصير الموريسكيين قصرا لم يجدي نفعا، فلجأوا إلى أساليب أكثر دهاءا وعنفا منها:

---

1. عبد القادر بوحسون، **الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية {635هـ-897هـ/1238م-1492م}**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013، ص90 .

- نقل محاكم التفتيش من بلدة جيان إلى غرناطة .
- تغفر للموريسكيين كل الشرور والمغالطات المرتكبة حتى عام 1526م ضد الإيمان الكاثوليكي .
- منع الموريسكيين من استخدام اللغة العربية سواء في الخطاب أو الكتابة وعليهم أن يتعلموا اللغة القشتالية " الإسبانية" .
- على كل موريسكي أن يبدل ملابسه حتى تصبح متفقة مع ملابس الإسبان .
- حظر عليهم استعمال الحمامات[1] .

أصدرت إيزابيلا في 22شباط 1502م مرسوما يخير الأندلسيين بين التنصر والرحيل، وأمهلتهم حتى نهاية شهر نيسان من العام نفسه، وقد رحل خلال المهلة نحو ثلاثمئة ألف من غرناطة إلى المغرب، واعتبر من بقي في غرناطة منصرين [2] .

بدأ الإسبان في نقض المعاهدات واحدة تلو الأخرى، وجعل المسلمين يعانون بإيعاز وتحريض من الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة فيما يتعلق بحقد الملكين الكاثوليكين، فقد كانت إيزابيلا تمتلئ حقدا وكرها لكل ما هو مسلم، أما الملك فيرناندو فقد كان همه القضاء على المسلمين ودينهم بإسبانيا حتى إنه وصى أولاده بقوله:" عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية"[3] .

لقد أصبحت فكرة التنصير راسخة في أذهان النصارى للتخلص من المسلمين فقد اعتبروا تهديدا لكيان الدولة الإسبانية وخطرا عليها .

---

1. محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م**، الدار البيضاء،1991، ص ص 79– 80 .
2. عادل سعيد بشتاوي، **الأمة الأندلسية الشهيدة: تاريخ 100 عام من المواجهة والإضطهاد بعد سقوط غرناطة**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000،ص179 .
3. عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص91 .

في سنة 906هـ / 1499م صدر قانون يقضي بتنصير المسلمين جبرا، ويحرم عليهم إقامة شعائرهم الدينية، كما نص القانون أيضا على غلق المساجد والأكثر من ذلك فقد عمد الكاردينال كيميناس إلى حرق مختلف الكتب الإسلامية الموجودة بغرناطة[1] .

وبهذا بدأت الدعوة إلى تنصير مسلمي الأندلس كانت عبارة عن الوعظ والإختيار، وبسبب التضييق الذي عاشه المسلمين على يد الإسبان وخاصة محاكم التفتيش فتسلل الموريسكيون إلى إفريقيا بمساعدة المغاربة .

وفي هذا الصدد اتخذ الموريسكيون غطاء لهم بغية الحماية كتغيير بعض العلماء والفقهاء لأسمائهم، أي بأسماء غير عربية وذلك خوفا من تعنت محاكم التفتيش التي كان دورها القضاء على الإسلام من جذوره وكل ما هو متعلق بالديانة الإسلامية، فقد عبر المسلمون عن سياسة التنكيل والخداع والغدر الذي لقوه من طرف الإسبان وما يشير إلى ذلك قصيدة بعثها المسلمون للسلطان العثماني بايزيد الثاني سنة 1501م وتتضمن:

شكونا لكم مولانا ما قد أصابنا من الغر والبلوى وعظم الرزية

غدرنا ونصرنا وبدل ديننا ظلمنا و عوملنا بكل قبيحة

وكنا على دين النبي محمد نقاتل عمال الصليب بنية

ونلقى أمورا في الجهاد عظيمة يقتل أسر ثم جوع وقلة

فجاءت علينا الروم من كل جانب بحمل عظيم جملة بعد جملة[1]

---

1. محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1982، ص251 .

إن المشكل الموريسكي هو مشكل ديني منذ القدم أو بعبارة هو صراع ديني وهذا ما أكد عليه بروديل Braudel في قوله:" أن المشكل الموريسكي صراع ديني، وبمعنى آخر صراع حضاري" [1].

رغم كل محاولات السلطات الإسبانية لجعل المريسكيين يعتنقون الدين المسيحي، فقد فشلت فيما عرف بسياسة التنصير وقد أرجع جان ألفي أن أسباب فشل سياسة تنصير المسلمين في عهد شارل الخامس، هو عدم إقناع رجال الدين للموريسكيين في اعتناق النصرانية، وعدم قدرتهم على تغيير عقلية الموريسكيين وتحويلهم عن عقيدتهم الإسلامية الراسخة [2].

---

1 . F. Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'epoque de philipp 2, paris, 1966, p 118.

2 . بيدرو لونقا، **الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين**، زغوان، 1993، ص40 .

المبحث الرابع: ردود فعل المريسكيون .

إن المعانات وكل وسائل التعذيب وتضييق الخناق على المسلمين في الأندلس من طرف الإسبان وعن طريق محاكم التفتيش فقد ولد طرقا وأساليبا لدى المسلمين في الدفاع عن أنفسهم رغم الضعف والقلة أمام جيوش النصارى، لقد تمثلت هاته الأساليب في التقية والهجرة والثورات .

1 – الهجرة :

لغة: تعني القطع والإعراض عن الشيء.

اصطلاحا: معناها الخروج من أرض إلى أخرى .

وتكون الهجرة واجبة عندما يكون الإنسان مضطهدا في دينه، وعاجز عن دفع الأذى عن نفسه ودينه وماله وعرضه، مصداقا لقوله تعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** " [1] .

لقد عرف التاريخ الكثير من الهجرات فنجد منها هجرة إبراهيم عليه السلام عن قومه لما استضعف يقول ابن الأثير:" حتى إن إبراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم، فخرج منها مهاجرا حتى قدم مصر"[2] .

---

1. سورة النساء، الآية 99 .
2. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ: تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة**، تحقيق: أبي عبد الله قاضي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص77 .

ثم الهجرة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام عندما ضيق كفار قريش عليه، قالت عائشة:" كان رسول الله لا يخطأه أحد طرفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة وإما عشية حتى كان في اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة أتانا بالهجرة " [1].

إن القرارات التي أصدرها الملكان الكاثوليكيان بهدف حماية الدين أو الكره الشديد للمسلمين قد نجحت في تضييق الخناق على الموريسكيين تضييقا كاملا، ولاحقتهم في قرارهم ومدنهم وحياتهم ومنازلهم بل وجثت العيون في العائلة الواحدة نفسها لضرب وحدتها العائلية [2].

إن الطابع التاريخي الذي عرفته بلاد الأندلس من اضطرابات سياسية جعلتها تعج بالهجرات الداخلية والخارجية، أما في موضوعنا هذا فإننا نتناول الهجرة كحل أو سبيل لجئ إليه الموريسكيون للدفاع عن أنفسهم أو الإبتعاد عن مظالم النصارى،فقد ظهرت في هاته المنطقة بعد هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب والتي أثرت سلبا على الوجود الإسلامي بالأندلس [3].

إن توالي سقوط المدن الأندلسية نشر الرعب في قلوب المسلمين ففر بعضهم خوفا من الإضطهاد فكانت وجهتهم بلاد المغرب، كانت أول هجرة سنة 1526م، بلغت 2200 موريسكي غادر مملكة بلنسية، وفي سنة 1526م غادر 200 موريسكي بلدة أوليفا oliva، وفي سنة 1552م غادر 2000 موريسكي منطقة كولييرا cullera [4].

---

1. ابن الأثير، المصدر السابق،ج2، ص5 .
2. عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص75 .
3. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص236 .

2- التقية:

نجد تعرف التقية في الموسوعة العربية الميسرة أنها:

لغة: المداراة والكتمان .

اصطلاحا: نظام سري لحماية دعوة إمام من أئمة الشيعة يقوم بالتظاهر بما لا يبطن الشيعي ما يستنكر وليكن على ما يخالف الدين[1] .

فهي تعتبر الوسيلة التي يقوم بها المسلم لإخفاء دينه والتظاهر بالدين الذي فرض عليه وسط المجتمع الذي يعاديه .

أما شرعا فباعتبار الدين الإسلامي دين يسر لا عسر ودين سماحة فقد أوجد الفقهاء فتاوى تبيح جواز التقية وذالك استنادا على قوله تعالى:" **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ** "[2] ، وقد فسر هاته الآية ابن كثير في كتابه تفسير ابن كثير بقوله:" إلا أن تخافوا منهم مخافة فتظهروا لهم الولاية، وتضمروا لهم العداوة بقلوبكم"[3] .

بسبب تعنت محاكم التفتيش واضطهاد الإسبان للمسلمين، لجأ المسلمون إلى طرق أخرى منها التقية لمواجهة المد المسيحي، للحفاظ على دينهم سرا حيث ذكر الشهاب الحجري:" وكانوا يعبدون دينين: دين النصارى جهرا ودين المسلمين في الخفاء"[4].

---

1. **الموسوعة العربية الميسرة**، ط1، ج1، 1965، ص540 .
2. سورة آل عمران، الآية 28 .
3. ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج1 الجزائر ،1990، ص18 .
4. الشهاب الحجري ، **أحمد بن القاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق: محمد رزوق، الدار البيضاء، 1987، ص21 .

هذا وقد بعث أهل الأندلس برسالة إلى مفتي مدينة وهران الشيخ أحمد بن أبي جمعة الوهراني يستفتونه عن التقية وجوازها لهم، فأجابهم بفتوة تحتوي على مجموعة من التسهيلات وكذلك الحيل التي تسمح لهم بالمحافظة على دينهم بإتباعهم أسلوب التقية [1] .

وعلى هذا الأساس بقي الإسلام الخفي قائما على ارض الأندلس يحمله جيل بعد جيل، على الرغم من وسائل الإرهاب والإفساد إلى غاية سنة 1614م، وهذا يعني أن سياسة محاكم التفتيش والكنيسة الرامية إلى تنصير الأندلسيين قد فشلت[2] .

---

1. عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص104 .

2. حنيفي هلايلي، **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص98 .

3 – **الثورة:**

إن حياة الشر والذل التي عاشها الموريسكيون من طرف الإسبان وضيق الحال، لم يجدوا سوى أن الأسلحة والعودة إلى الحرب هي الحل الأنسب لمجابهة طغيان النصارى .

فقد كانت حرب غرناطة أحد الأحداث التي شغلت اهتمام الإسبان في القرن السادس عشر، ورغم أن أهل قشتالة خلال عهدي كارلوس الخامس و خمينيس الثاني كانوا قد تعودوا سماع أخبار المعارك في أوروبا فإنهم لم يفكروا في احتمال نشوب حرب داخل حدودهم [1].

لقد تعددت أسباب قيام الثورات أو الثوار المسلمين ضد النصارى فنجد بسبب حياة الجحيم التي عاشها الأندلسيون على يد محاكم التفتيش بالإضافة إلى عدم وفاء الإسبان بشروط معاهدة تسليم غرناطة ونقضها واحدة تلوى الأخرى، وبهذا تعددت الثورات منها ما هي محلية وذلك لضيق حدودها، ومنها ما هي ذات نطاق واسع وكان لها أثر بالغ في صفوف الإسبان ونجد من أهم هاته الثورات:

ثورة حي البيازين بغرناطة سنة 1499م، والتي قامت بسبب كمينيس المعروف بحقده على المسلمين، لقد كان يتولى أمور غرناطة بتعيين من قبل الملكة ايزابيلا، فقد كان يجبر المسلمين على التنصر كرها، بالإضافة إلى إحراق الكتب الإسلامية مايقارب 1300000 كتاب، وبعد تدخل الملكين فرناندو وإيزابيلا، إذ اتفق الطرفان على وقف القتال واحترام معاهدة تسليم غرناطة، حيث انتهت في نفس السنة [2].

---

1. نخبة من أبرز المتخصصين، **مجلة دراسات أندلسية وموريسكية**، العدد 1192، ط1، تر: جمال عبد الرحمن، القاهرة، 2008، ص165

2. عبد القادر بوحسون، المرجع السابق،ص 106.

وفي سنة 1501م اندلعت ثورة البشرات، ثم ثورة ألميرية حدود سنة 1500م [1]، لقد جمعتها نفس الأسباب المتمثلة في التنصير القصري وخرق معاهدة التسليم .

ثم انفجر غضب الموريسكيين في ثورة كبرى عرفت بثورة غرناطة سنة 1568م ، بالإضافة إلى انتفاضات محلية انتشرت في مختلف المناطق المجاورة لغرناطة، من أشهرها انتفاضة جبل لاغوار ومويلادي كورتيس اللتان كانتا آخر محاولة عسكرية يائسة من طرف الموريسكيين للبقاء في أرض الأندلس، و يصدر بعد هاته الثورات قرار الطرد النهائي سنة 1605م من طرف الملكة إيزابيلا [2] .

---

1. عبد القادر بوحسون،المرجع السابق، ص106 .
2. جمال يحياوي، المرجع السابق، ص158 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: محاكم التفتيش .

المبحث الأول: تعريف ونشأة محاكم التفتيش.

1 – تعريف محاكم التفتيش.

2 – نشأة محاكم التفتيش.

المبحث الثاني: أساليب محكم التفتيش والمراسيم الملكية.

1 – أساليبها.

2 – المراسم الملكية.

المبحث الثالث: أهداف محكم التفتيش ومن يدعمها.

1 – أهدافها.

2 – من يدعمها.

المبحث الرابع: سجون محكم التفتيش وأنظمتها.

1 – سجون محاكم التفتيش.

2 – أنظمتها.

الفصل الثاني: محاكم التفتيش .

المبحث الأول: تعريف و نشأة محاكم التفتيش.

1- تعريف محاكم التفتيش:

رغم الجهود الكبيرة المبذولة من قبل الاسبان و الكنيسة الكاثوليكية في تنصير مسلمي الأندلس أو الجلاء من اسبانيا و على الرغم من اعتناق الكثير منهم الدين المسيحي إلا أنهم بقوا مزدرين من قبل الاسبان، و لم يخصوا بنفس المعاملة و إنما اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية، ثم سرعان ما حوكموا بحجة ابطانهم الإسلام و إظهارهم المسيحية فأخضعوا لما اصطلح عليه بمحاكم التفتيش. و محاكم التفتيش باللاتينية INKUISITION HAERE TICAEP RAVITATIS و معناها التحقيق في البدع الهرطقية، و هي عبارة عن دواوين أو محاكم كاثوليكية مهمتها اكتشاف مخالفي الكنيسة و معاقبتهم، و لكن في الحقيقة كانت هذه المحاكم في نظر الاسبان هي تتويج لانتصار المسيحيين على المسلمين أو بالأحرى المسيحية على الإسلام في نظرهم، و غايتها الأساسية تطهير اسبانيا من كل ما له علاقة بالدين الإسلامي حتى و إن كان ذلك الأمر خفيا و مبطنا[1].

المناوئة لها باسم الدين، فالهدف إذا منها هو خدمة الأغراض السياسية للدولة و قد اتخذت السلطة الحاكمة في اسبانيا هذه المحاكم كذريعة لضرب الحركات و نشر المذهب الكاثوليكي في آن واحد، أما الهدف المعلن و الغاية المرجوة من إنشائها هو القضاء على الهرطقة بين المتنصرين الجدد و مهما كانت ديانتهم السابقة و في حقيقة الأمر ما هي محاكم التفتيش إلا أداة و وسيلة اتخذتها السلطة الحاكمة في اسبانيا و السلطة الدينية لتحقيق المشاريع السياسية و الدينية و حتى الاقتصادية[2] ما دامت هذه المحاكمات سوف تجلب للدولة مداخيل معتبرة من خلال مصادرة أملاك المتهمين لمملكة اسبانيا بعد سقوط مملكة غرناطة و فيما يخص ضحايا هذه المحاكم الجائرة فلم يكونوا من المسلمين فقط، بل كان اليهود من أوائل

---

1. جمال يحياوي، **أخبار سقوط غرناطة**، د ط، د ت، ص60 .
2عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص94 .

الضحايا الذين نكل بهم قبل سقوط غرناطة، ثم بعدهم ثم بعدهم المسلمين .

بعد سقوط غرناطة، ليأتي الدور فيما بعد على المسيحيين البروتستانت[1]، إن هذه المحاكم التي جاءت كتتويج للحروب الصليبية، قد استهلكت كل طاقة اسبانيا النصرانية و شغلتها و ضللتها و أضلت بها[2] .

2- نشأة محاكم التفتيش:

محاكم التفتيش الاسبانية المشكلة بموجب مرسوم بابوي في عام 1478م.[3] فقد تم إنشاء محاكم التفتيش في أواخر القرن الخامس عشر[4].

و ما بين 1478و 1502، اتخذ كل من فرديناند ملك أراغون، وايزابيلا ملكة قشتالة ثلاثة قرارات متكاملة هي: انشاء محاكم التفتيش بترخيص من البابا و طرد اليهودو اجبار مسلمي مملكة قشتالة على اعتناق الكاثوليكية.[5]

و يأتي إقرار محاكم التفتيش متوافقا مع مفاهيم الخلاص التي أخذت تزدهر خلال الفترة بين القرنين الخامس عشر و السادس عشر و و كذلك التجارب الصوفية الحسية للبعض. و محكمة تفتيش بابوية أقيمت في قشتالية في بداية القرن الثالث عشر، و كان معظم عمالها من الكهنة الدومينيك الذين انهمكوا في محاولة مقاومة الهرطقة في قشتالة لا سيما في المناطق الجديدة التي تمكن مسيحيو الشمال و الأروبيين من احتلالها في الأندلس إلا أن المقاومة كانت شاملة لاستمرار عمل محكمة التفتيش تلك و ارتأت السلطات الملكية و المدنية على حد سواء اعتماد سياسة أكثر اعتدالا بالنسبة لأهل الأديان الأخرى، فان وجودها لم يكن لازما لولا تنصر أعداد كبيرة من اليهود في الفترة بين 1391و 1416[6] بفعل الاضطهاد و الضغط

---

1. عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 95.
2. عبد الرحمان الحجي، **محاكم التفتيش الغاشمة و أساليبها**، د ط، الكويت، 1983، ص22.
3. عبد الحكيم ذا النون، المرجع السابق، ص71.
4. جوزيف بيريز، **التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا**، ص09.
5. المرجع نفسه، ص11.
6 أمريكو كاسترو، المرجع السابق، ص598.

لذا فإن ضحايا هذه المحاكم كانوا من اليهود و لما نفد مدد الضحايا من المتنصرين اليهود انتقل عمال محاكم التفتيش إلى الأندلسيين بعد استسلام غرناطة سنة 1492م.

و قد أنشأت محاكم التحقيق في مملكة أراغون منذ أوائل القرن الثالث عشر، و وضعت لها في سنة 1242م إجراءات جديدة، كان لها فيما بعد الأثر في صوغ نظم ديوان التحقيق الاسباني. و عرف هذا الديوان الأرجواني بالديوان القديم و عكف حينا على مطاردة طوائف الألبيين، و إخماد دعوتهم في أراجون، و لم يلبث أن غدا سلطانه، و غدت وسائله و إجراءاته مثار الرهبة و الروع.[1]

ويصعب إعطاء تاريخ محدد لنشوء محاكم التفتيش، لكن فكرة التحقيق في العقائد الكنيسة الرومانية ظهرت في وقت مبكر، فخلال المجلس الكنائسي الثالث في لتران LATRAN 1179م أصدر البابا ألكسندر الثالث أمرا

بمتابعة المارقين و حجز ممتلكاتهم، بل و استرقاقهم و قد بدأ بتطبيق الفكرة منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، فكان البابا يعهد إلى الأساقفة بتعقيب المارقين و الكفرة، و طبق هذا النظام منذ البداية في إيطاليا و ألمانيا و فرنسا فكان مندوبو البابا يحلون في مختلف الأنحاء لتقصي أخبارهم، تعقد لذلك مجالس كنيسة مؤقتة كانت هي النواة الأولى لمحاكم التفتيش،[2]و يرجع تأسيسها بإسبانيا إلى عهد الملكين الكاثولكيين فقد أرسلا سفيرهما إلى البابا سنة 883هـ- 1478م، للحصول على براءة في هذا الشأن واتخذت الخطوة الحاسمة بالفعل لتنفيذ المشروع في سنة 1480م و أنشأت محكمة التفتيش الأولى في إشبيلية، و بدأت نشاطها المروع في قشتالة ضد اليهود المتنصرين CONVERSOS فطاردت ألوفا منهم، واستصدر الملكان الكاثولكيان براءة أخرى من البابا في فبراير سنة 1482م على إثرها أنشأت محاكم جديدة في قرطبة و جيان و شقوبية و طليطلة وبلد الوليد، وصدرت براءة أخرى في سنة 1483م بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم

---

1 عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 216.

2 محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس**، المرجع السابق،ص330.

التفتيش SUPREMA له اختصاص مطلق في شؤون الدين. وبعد صدور قرار التعميد الإجباري ضد الأندلسيين سنة 1502م أصبحت محاكم تتابع الموريسكيين بصرامة.[1]

و الواقع أنها بدأت في قشتالة قبل ذلك يوم صدر المرسوم البابوي بإقامة محاكم التفتيش سنة 1478م قبل 14 سنة من سقوط غرناطة.[2]

تأسست هذه الدواوين في إسبانيا خلال عهد الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا و فرديناند (1474-1516م)، فكانت أولى المحاكم في إشبيلية و قرطبة وجيان وبلد الوليد سنة 1482، والتي تابعت اليهود وفرضت عليهم التنصير، وفي سنة 1483م أصدر الفاتيكان براءة تقضي بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش تشرف على شؤون الدين الكاثوليكي و بفضل جهاز محاكم التفتيش أضحى المورسكيين عبيدا بدون سيادة، وبدأت عمليات الإستيلاب الثقافي و التغريب بعد مصادرة أملاكهم، وتؤكد وثائق محاكم التفتيش أن روح المعاهدة التي بموجبها سقطت غرناطة (25 نوفمبر 1492- 21 محرم 897هـ)، لم تحترم بنودها التي وقعت بين الطرفين، بل سرعان ما تنكر لها الطرف المسيحي، وبدأ المسؤولون السياسيون و الدينيون الاسبان و هم المنغلقون دينيا و حضاريا على أنفسهم، والمؤمنون بوجوب محاربة كل ما هو غير كاثوليكي في عملية جديدة تقضي ليس باسترداد المدن فقط، بل أيضا باسترداد روحي وحضاري لكافة سكان المملكة.[3]

---

1. محمد رزوق، المرجع السابق،ص ص61، 62.

2. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص155.

3. حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص92، 93.

وإحراق الناس بسبب معتداتهم الدينية بدأ في أوربا منذ سنة 1075م،ولكنه لم يأخذ طابعا منظما إلا في عهد البابا أنوصان الثالث الذي أمر الكنيسة باضطهاد الهراطقة، ووضع بذلك الدعامة الأولى التي قامت عليها محاكم فيما بعد، وكان انشاؤها تطبيقا للحركة الإصلاحية البابوية التي قادها البابا غريغوري التاسع.[1]

وتوركيمادا [2]هو الذي نظم محاكم التفتيش الاسبانية، وجعل منها مؤسسة مركزية إلى حد كبير وقدم لها أول مسطرة قانونية.

وكانت محاكم التفتيش قد أنشأت لمعالجة مشكلة محددة، ألا وهي تلك التي كان يطرحها المتنصرون المتهودون التابعون لأبرشية إشبيلية، إلا أن توركيمادا سيقوم بتمديد صلاحيات الديوان المقدس لتشمل جميع أنحاء مملكة قشتالة، وذلك بانشاء محاكم دائمة في المدن الرئيسية، بداية في الأندلس في قرطبة و جيان ثم بعد ذلك في شمال سييرا مورينا SIERRA MORENA، وقد أبى مطران طليطلة كاريو CARRILLO، أن يرى كيف تستقر محاكم التفتيش داخل أبرشيته، مما يدفعنا إلى التفكير بأن الديوان المقدس ما كان ليتطور ربما بالقدر الذي عرفه لو أن باقي المطارنة كانوا قد اتخذوا نفس الموقف.

لكن في حقيقة الأمر معظم الأساقفة لم يكونوا ليغضبوا الملكين. بعد وفاة كاريوخلفه الكاردينال مندوثا MENDOZA، الذي لم يضع أي عائق أمام محاكم التفتيش التي تأسست بمدينة طليطلة سنة 1485م، ومع ذلك ليس دون أية مواجهة فكما حدث في إشبيلية كان المتآمرون قد قرروا المقاومة بالقوة واعتزموا إغتيال المحققين الذين تم تعيينهما يوم عيد الرب في 02من يونيو حزيران 1485م، و كما في إشبيلية فقد بلغ ذلك إلى علم السلطات فأعدم المتآمرون الرئيسيون شنقا في اليوم الأول من شهر يونيو حزيران خلال نفس الفترة كان توركيمادا قد أنشأ محكمة في ثيوداد ريال CUIDAD REA وفي سنة 1485م أنشأ محكمتي جيرينا JERENA وميدينا ديل كامبو MEDINA DEL CAMPO هذه الأخيرة سيتم نقلها لاحقا إلى سالامانكا ثم في السنوات الأخيرة سيقوم بإنشاء محاكم أخرى: في سيغوبيا

1.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق،ص215.

2.(1420-1498) هو ابن شقيق اللاهوتي خوان دي توركيمادا مطران بلد الوليد الذي اشتهر في مجمع بال سنة 1431م. ينظر التاريخ الموجز لمحاكم التفتيش في اسبانيا لجوزيف بيريز ص 44 .

SEGOVIA و غوادالوبي GUADA LUPE، وبلد الوليد VALADOLIDالتي نقلت إلى باينثيا PALENCIA في عام 1493م[1]

ويرجع قيامها إلى فكرة الرقابة القديمة على العقيدة، و التحقيق من سلامتها و نقائها وقد ظهرت فكرة التحقيق في أمر العقائد في الكنيسة الرومانية في عصر مبكر جدا، و بدأ بتطبيقها منذ أوائل القرن الثالث عشر، فكان البابا يعهد إلى الأساقفة وإلى الآباء الدومنيكيين، في تعقب المارقين والكفرة ومعاقبتهم. وطبق هذا النظام منذ البداية في ألمانيا و إيطاليا وفرنسا، وكان مندوبو البابوية يتجولون في مختلف الأنحاء لتقصي أخبار الكفرة والقبض عليهم ومعاقبتهم، وكانت تعقد لذلك مجالس كنيسة مؤقتة كانت هي النواة الأولى لمحاكم التحقيق،تعمل حيث يوجد الكفرة والملاحدة ثم تحل حتى تمت مهمة مطاردتهم والقضاء عليهم ثم أنشأت بعد ذلك مراكز ثابتة لمحاكم التحقيق، أقيم معظمها في أديار الآباء الدومينكيين والفرانسيسكانيين،ولم تك ثمة في هذه العصور سجون خاصة أو مراكز خاصة لمحاكم التحقيق وإنما كان يتخذ من أي مكان صالح مركزا أو سجنا.

وكان الأساقفة يتولون رياسة هذه المحاكم، ولهم سلطة مطلقة[2]، ففي وصية لفرديناند إلى شارل الخامس نجده يأمره:بضرورة اختيار محققين أكفاء ومخلصين للكاثوليكية وتضييق الخناق على طائفة محمد عليه الصلاة والسلام.[3]

المبحث الثاني: أساليب محاكم التفتيش .

1- أساليبها:

كانت ذراعا للسلطة تمتد باسم الدين إلى مراكز القوى المناوئة للحكومة فتضرب رؤوسها وأفرادها و تصادر الممتلكات والأراضي لصالح الدولة، أو تسجن أولئك الذين ينتقدون السلطة، وربما وصل الأمر

1.جوزيف بيريز، المرجع السابق، ص45.

2.محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص ص328،329.

3.حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص93،94.

إلى حد تقديمهم بعد التحقيق والتعذيب إلى السلطات المدنية لتقضي الأخيرة بإحراقهم أو مصادرة أموالهم وحرمانهم من الحقوق المدنية، هذا الوضع يفترض أن تكون معتقدات الملوك وعمال محاكم التفتيش أكثر أهمية من معتقدات الكنيسة، ولكن عمليات التعذيب والسجن تتم باسم الكاثوليكية[1].

وإلى تلك الوسائل البربرية التي اتخذت لتشريد العرب المتنصرين وإبادتهم بعين الرضا والكبرياء[2].

فكانت سياستهم ترمي إلى الإبادة ومحو الأثر وقد أصدروا من الأوامر ما أصدروا وأقاموا المحاكم الفظيعة وصادروا ونهبوا وهتكوا الأعراض وأذلوا وخسفوا الأرض بمن عليها من غير معتنقي (الكثلكة) بشتى الطرق وضروب التفنن في التعذيب والنكال[3].إن حكام دواوين التفتيش الكفار بفضل أسلوبهم الشيطاني وحيث دفعوا من طرفه فقد أرادوا أن يصبحوا حكاما على الأرواح وقد دفعوا غيرهم بالقوة إلى أن يتبعوا دينهم اللعين الذي لا يتمتع بأي أساس[4].

فكانوا يلقون بهم في السجون ويعذبونهم عذابا لا يخطر على بال بشر، فكانوا يملأون بطونهم بالماء حتى الإختناق وكانوا يضعون في أجسادهم سياخا محمية وكانوا يسحقون عظامهم بآلات ضاغطة، وكانوا يمزقون الأرجل ويفسخون الفك وكان لهم توابيت مغلقة بها مسامير حديدية ضخمة تنغرس في جسم المعذب تدريجيا، وأيضا أحواض يقيد فيها الرجل ثم يسقط عليه الماء قطرة قطرة حتى يملأ الحوض ويموت، وكانوا أيضا يقومون بدفنهم أحياء، ويجلدونهم بسياط من حديد شائك وكانوا يقطعون اللسان بآلات خاصة[5].

وكان أكثر عمل ديوان التحقيق قائما على مطاردة العرب الأندلسيين، فقد اظطروهم بالضغط والإكراه والعنف إلى تقبل العماد واعتبروهم بذلك مسيحيين ولكنهم لم يتركوهم وما اعتقدوا أنهم عليه، بل

1.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص215.
2.محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص309.
3.محمد علي قطب، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس**، د ط، د ت، ص47.
4.لوي كارديلك، المرجع السابق،ص104.
5.راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص697، 698.

أخذوا ينقبون عن أسرارهم وسرائرهم وينكرون عليهم النظافة و الإستحمام و الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وختن الأولاد واعتبروا كل ذلك قرائن تدل على أنهم مازالوا مقيمين على الإسلام، وأنهم صاروا مرتدين على النصرانية، وتجب ملاحقتهم لقد أرهق ديوان التحقيق ألوفا لا تحصى من الأرواح العرب الأبرياء بتهم مختلفة[45]. ولكن يكفي أن نقول أن ديوان التحقيق أعدم في إشبيلية وحدها خلال ثماني سنوات 700شخص واظطر5000بأساليبه الخاصة إلى التوبة وطلب الغفران وكان ذلك قبل أن يتسع نطاق التنصير وقبل أن تضع الكنيسة خطتها الشاملة لإبادة العرب[1].

وفي سنة 1556م منع المسلمون من استعمال لغتهم أو ملابسهم أو عاداتهم في الإستحمام وهدمت الحمامات باعتبارها أثرا إسلاميا حضاريا وفرضت الغرامات الثقيلة.[2]

وما ميز هذه المحاكم في تعاملها سواء مع المسلمين أو اليهود أو المسيحيين البروتستانت هي القسوة الشديدة مع المتهمين أثناء تعذيبهم واستنطاقهم دون رحمة، وما يذكره أحد عمال هذه المحاكم يدعى خوان أنطونيو ليورنتي LIORENTE لخير دليل على تلك الوحشية في المعاملة إذ يصرح بأن المؤرخين الكثيرين والذين وصفوا تلك الأعمال كانوا صادقين، ولم يبالغوا في وصفهم فقد بلغت برودة عمال محاكم التفتيش في التعامل مع المتهمين حد الوحشية وتتجسد تلك الوحشية في الطريقة التي كان العمال يستنطقون بها المتهمين فقد كان بمجرد شهادة شخصين في رجل أو امرأة بالهرطقة حتى يؤخذ عنوة إلى مقر المحكمة ويشرع في استنطاقه ليعترف بخطيئته، فإذا لم يعترف بذلك شرع في تعذيبه بمختلف الوسائل والأدوات، وأهمها المخلعة (شد المتهم من ساقيه وباستعمال الضغط عليهما يتم فصل العظام، والرافعة شد اليدين إلى الظهر وربطهما بحبل معلق ببكرة ثم رفع المتهم إلى السقف بحيث تتحمل يداه ثقل جسد إلى أن تتفكك مفاصله) بالإضافة إلى التعذيب بالماء والنار وتمزيق اللحم بالكماشات[3].

1. أسعد حومد، المرجع السابق، ص 344.
2. المرجع نفسه،344.
3. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 156.

ومن خلال مختلف الآلات التي عثر عليها حديثا في عدة أماكن من إسبانيا، والتي تعود لتلك الفترة وكانت تستعمل للتعذيب يمكننا الوقوف على مدى فظاعة ما تعرض له المسلمون داخل تلك المحاكم وهي آلات كانت تستعمل لتكسير العظام وسحق الجسم وآلات لسل اللسان وتمزيق ثدي النساء وغيرها من الآلات الأخرى التي تدل على بشاعة الأمر وفظاعته.[1]

وقد ذكر كولونيل فرنسي على أنه عثر هو جنوده بعد احتلال نابليون إسبانيا سنة 1818م داخل دير في قاعة تحت الأرض على قاعة مهيأة للمحاكمة وأخرى كبيرة للتعذيب وتمزيق الأجسام البشرية(وقد رأيت بها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى التقزز ما حييت... وما تقشعر له الأبدان.. ولما شاهد الناس بأعينهم وسائل التعذيب جن جنونهم)[2].

وكانت قاعة التعذيب مظلمة رطبة، جدرانها سوداء وقد ثبتت فيها مسامير نائتة صدئت يغلق عليها بباب من الحديد السميك وفي أرضها سلاسل ضخمة مشدودة إلى حلقات في الأرض، وكانت تلك السلاسل لربط المذنبين حين تعذيبهم وإلى جانب ذلك توجد مجالد من الجلد المعقود على رصاص و دواليب و سحابات ذات مسامير صادئة حادة لتمزيق الأجساد وعضاضات حديدية لعض اللحم ، ثم أكاليل حديدية ذات مسامير حادة نائتة من الداخل تطوق بها جبهة المعذب ثم يأخذ المعذب بتضييقها شيئا فشيئا بواسطة مفتاح يدور بلولب حتى تغرز المسامير في الرأس ثم هناك كلاليب ذات رؤوس حادة لسحب أثداء النساء من الصدور، وآلات لسل اللسان من أصله وأخرى لتكسير الأسنان وأحذية حديدية تحمى لدرجة الإحمرار يلبسونها لمن ساء حظه ووقع في يد أولئك الوحوش ثم أحذية أخرى حديدية ذات مسامير من الداخل يضعونها في رجل السجين ثم يأخذ الموكل بالتعذيب في تضييقها شيئا فشيئا، وسفافيد حديدية متباينة الأشكال لتحمى في النار وتستعمل لكي المعذب، ثم مشنقة معلقة في السقف لكي تشنق المعذب نصف شنق فلا هو حي فيرجى ولا هو بالميت فيوارى، ثم سلاسل ضخمة وأثقال حديدية معلقة

1.عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص ص 95، 96.

2.علي محمد الصلابي ،**أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين** ، ط 1 ،دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2003، ص ص73،74 .

أيضا في نواحي مختلفة في السقف ليربط فيها السجين وبينها فتتجاذبه وتمزق أعضاءه تمزيق في جهات عديدة[1]

الأوامر كانت تقضي باسترقاق كل من يلقى عليه القبض وهو يحاول الهروب واسترقاق زوجته وأولاده ومصادرة أمواله، ولإظهار هذا التعنت نستعرض نماذجا جديدة من تلك الممارسات التي كانت تقوم بها محاكم التفتيش ليس في ظلام العصور الوسطى بل مع بداية عصر النهضة الأروبية كما تدعي ولا باسم التصفية العرقية بل تحت غطاء الحرب المقدسة كما كانت تزعم LA GUERRA SANTA .

ولا شك وأن الدارس يجد نفسه أمام مشاهد مروعة ووحشية بلغت حدها وهمجية لا نظير لها إلا في جرائم الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا واسيا[2]، أن الهمجية التي طبقت من طرف محاكم التفتيش الغاشمة لم تكن تخفى على كل من درس التاريخ الموريسكي واطلع على الوثائق العربية أو الاسبانية القديمة أو المعاصرة لأن هذا الزحف المسيحي الاسترداديي لا يملك تقريبا شيئا من الرصيد الإنساني الذي كان سائدا في المجتمع الأندلسي الإسلامي ، بل ما طبع هذا الزحف هو سمة الاجتياح السريع فقد خالفت محاكم التفتيش الاسبانية كل الأعراف والقوانين الدولية القديمة منها والحديثة، فإذا كانت القاعدة القانونية العالمية تقول إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته فان محاكم التفتيش طبقت العكس فكل متهم مذنب حتى تثبت براءته والأدهى من ذلك إن تصرفات هذه المحاكم قد تتجاوز أحيانا كل تقاليد التقاضي والأعراف ففي كثير من الحالات يكون القاضي هو المدعي وبلغ تعنت هذه المحاكم حتى أصبحت القاعدة عندها بأن يدان مائة بريء زورا وبهتانا خير من أن يهرب من العقوبة مذنب واحد [3] .

وقد زاد المجمع البلنسي الحاكم عام 1608م من اتخاذ التدابير الأكثر جدية وصرامة فتجاوز القرار الملكي عام 1565م بمضمون الصياغة التالية والقائلة:(حتى يتسنى لهؤلاء الموريسكيين من تعلم لغتنا

1.علي مظهر،المرجع السابق، ص84.

2.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق، ص ص71،72.

3.المرجع نفسه، ص ص73،74.

ونسيان وترك لغتهم فإننا نطلب من جلالته الموافقة على إرسال مدرسين من المسيحيين القدامى إلى كل الأماكن الآهلة بطوائف المورسكيين غصبا عنهم حتى يقوموا على تعليم أبنائهم القراءة والكتابة وكذلك تعليم نسائهم وبناتهم الحرث والخياطة..)وبموجب هذا القرار الإستثنائي والإضافي أصبحت كل المكتوبات باللغة العربية كفيلة بأن تدين صاحبها بأقصى التهم حتى لو كانت هذه الوثائق نسخا من عقود الزواج أو البيع أو الملكية أو التوثيق أو ما شكل ذلك .

الأمر الذي دفع بالأسقف فيقرا FIGUERA" أن يطلب من الملك بأن ينشر في أوساط الموريسكيين الكتب باللغة القشتالية أو البلنسية حسب نصيحته للملك فيليب الثاني وأن ينتزع منهم كل الكتب العربية ومختلف الوثائق حتى لو كانت كتب علمية أو غيرها"[1]،لقد أقرت محاكم التفتيش قطع الموريسكيين عن جذورهم وهويتهم الثقافية وذلك بالقضاء على نظامهم الاجتماعي انطلاقا من قمة الهرم ، أي سقف الزعماء والمتطلعين في شؤون الإسلام وبسبب تعنت الموريسكيين وتشبثهم بالهوية الإسلامية ورفضهم لكل محاولات الإدماج هو الأمر الذي جعل المؤرخ الفرنسي برودال يصر على ان المشكل الموريسكي هو صراع ديني وبمعنى أخر صراع حضاري يصعب حله فهو مدعو لأن يستمر[2].

فأزنار كاردونا الذي مارس مهنة الكهنوتية يعترف : "بإمكاننا وضع كتاب مطنب حول الكلمات الفضة والاقتراحات الملحدة التي عرفناها عنهم غير أنه وجب اعتبارهم أشخاصا ضائعين وحوش أغنياء " فقد اعتبر الموريسكيين وحوشا يستحقون كل العذاب ونقل ذلك المؤرخ الأمريكيPRESCOTT :" فالملك أبى أن يشارك في قتلهم لا رحمة وعطفا بل لأنه لا يريد أن يلطخ يده بدماء هذه الوحوش الضارية " ، حتى أن الاعتراف بالخطألم يكن يشفع لصاحبه فالذين يعترفون بأخطائهم يجب عليهم التكفير عن ذنوبهم بارتدائهم لباس الفضيحة وقد طال هذا الازدراء والشتم حتى الرسول عليه الصلاة والسلام ، فبينما مسيحيان في طليطلة حلف أحدهما باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولما سأله صاحبه لماذا يفعل ذلك

1.عبد الله حمادي،المرجع السابق،ص ص40،41.

2.نفسه، ص95.

يحلف بمن لا يؤمن به رد عليه: أحلف باسم محمد الشرير البغي ولم ينجو السلاطين العثمانيون من هذا الشتم أيضا ففي إحدى الرسائل الديبلوماسية نجد : كل ما أرجوه أن يعاقب ثوار البشرات قبل أن يستطيع هذا الكلب أن يعبئ قوته "، المقصود السلطان العثماني بايزيد الثاني [1]من هناك دخل كذلك الكتاب العربي مجابهة علنية مع قرارات محاكم التفتيش واستعيد الى الذاكرة ما يشبه العهد الأول من المضايقة التي شنها الكاردينال الصليبي الشهير ذيميش ثيسنيوروس عام 1500على أعقاب سقوط غرناطة حيث تسجل لنا الوثائق الرسمية اقدامه الحاقد والشنيع على ارتكاب فعلته التاريخية المعروفة اذ أقدم على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامةوبلغ عدد مجلداتها آنذاك خمسة الاف دون وعي منه لقيمتها المعنوية أو الجمالية ذات الثمن الغالي وكذلك فعلت محاكم التفتيش بمقاطعة أراغون التي أقدمت على حرق ألاف المصاحف ومختلف الكتب الأخرى في الساحة العامة أيضا وقد تجاوزت قرارات محاكم التفتيش مع الموريسكيين الأواخر حد مصادرة كل ما هو مكتوب باللغة العربية الى ما يكتب حول الديانة الإسلامية سواء بالحرف العربي أو الدومنتي (الألفيادو) أو أي لغة عامية أخرى لكن تبقى رغم كل هذه المجهودات الاضطهادية محاولة القضاء على أثر الإسلام والعربية في شبه جزيرة ايبيريا بمثابة السراب الذي يحسبه الضمئان ماء ، لأن الوثائق الرسمية تثبت عكس ما رغبت محاكم التفتيش بلوغه من أهداف أقصاءها القضاء المبرم على أثر الإسلام والعربية[2].

ويقدر بعض المؤرخين عدد من عذب من المسلمين بعد سقوط غرناطة بثلاث ملايين نسمة، قتل من قتل وحرق من حرق، ونجا بنفسه من نجا بما معهم من صناعة ومعرفة كبرى بالزراعة والتجارة، وخربت غرناطة و..الأندلس وأوحشت من أهلها[3]. فلم تكن مصيبة المسلمين في الأندلس تنتهي بزوال سلطانهم السياسي وسقوط آخر معقل إسلامي بيد سلطان إسبانيا النصرانية المتحدة، بل إن مصيبة جديدة تبدأ إنها مأساة الأمة هناك مأساة تمثل فيها الثبات والتصارع ضد الفناء الذي كان يريده لهم السلطان الإسباني، لإفناء الأفراد بل قبلة فناء وإفناء العقيدة وإلغاء كل ما يتصل بذلك وبقي المسلمون يقاومون ما يزيد على

1.جمال يحياوي ، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين** ، المرجع السابق،ص.ص،79،80.

2.عبد الله حمادي،المرجع السابق،ص ص43،44 .

القرن دفاعا عن عقيدتهم متمثلة في وجودهم وكل الأمور المتعلقة بهم حتى الثمار الفكري والإنتاج الحضاري بمظاهره المختلفة، لذلك كانت محاكم التفتيش تقود كل هذا ويتم بروح صليبية تأخذ من يبدو عليه أية صلة بالإسلام أو يضبط متلبسا يؤدي الشعائر أو يترسم عادة من العادات أو يحمل شارة من شارته[1]

وفيما يخص عدد الضحايا الأندلسيين الذين أخضعوا لهذه المحاكم فإنه ليست لدينا إحصائيات عامة حول ذلك غير أنه من المعروف أنهم كانوا يشكلون الغالبية من الضحايا، فعلى سبيل المثال في مدينة آبلة تم حرق 113أندلسي بين سنتي 1499م و1502م، وفي مدينة طليطلة تم الحكم بالإعدام على حوالي 1200متهم في آن واحد وتجدر الإشارة إلى أن هذه المحاكم لم تميز فقط القرن الخامس عشر والسادس عشرفي إسبانيا وإنما تواصل عملها إلى غاية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبالتحديد إلى غاية 1826م، ويبقى التاريخ يسجل لنا بأسى كبير تلك الأعمال الوحشية والمجازر الرهيبة التي تعرض لها المسلمون في الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة وما ذنبهم سوى أنهم أرادوا الحفاظ على شريعتهم كما نصت على ذلك معاهدة تسليم غرناطة، ورغم إبطانهم الإسلام وإظهارهم المسيحية إلا أنهم لم يسلموا من تلك الجرائم التي اقترفت بحقهم باسم المسيحية.[2]

- العقوبات والمظاهر التي يعاقب عليها المورسكيون:

وقبل كل شيء يبدو لنا أنه لا توجد قواعد ثابتة لإسناد العقوبات، فهذه قد تركت بادئ الأمر إلى تقدير المحكمة ثم إلى المجلس الأعلى الذي يلتجأ إليه في آخر المطاف إن الملابسات والرمز النموذجي للعقاب وكذلك شخصية المتهم يؤثر كل منها على طبيعة القرار، وصحيح أن يتم إحراق شخص بسبب قراءته كتبا موريسكية وآخر صدر ضده حكم بالسجن ولكن هناك مثال تمثل في صدور حكم اتسم بالرأفة فدون فيليب دوارقون ابن امبراطور فاس والمغرب الأقصى الذي وصل إسبانيا صغيرا قد اعتنق الدين المسيحي، والذي كلفه الدون فارنندو دوارقون نائب ملك بلنسية غير أن الإسلام استمر محتفظا لديه بشيء

1.علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص97.

2.عبد القادر بوحسون، المرجع السابق،ص98.

من الميل وقد اتهمته محاكم دواوين التفتيش بكونه صانعا وشريكا في البدع وساحرا وقد أدانته بثلاث سنين سجنا في أحد الأديرة وارتدائه لباس العار طوال كل هذه المدة برسم مختوم بقرنين كبيرين[1].

وكان تطبيق القوانين والأنظمة مصدر ربح وإثراء للقضاة والموظفين والحكام و يعترف المؤرخون الغربيون أن قانون رخص الأسلحة ونصوصه الغامضة وما تضمنه من عقوبات بالغة الشدة بحق العرب المخالفين،كان مصدر إثراء كبير بالنسبة لكل من له علاقة بتطبيقه ويلاحظ الإنسان بملئ الدهشة أن أكثر القوانين التي سنتها السلطات الملكية في إسبانيا لإخضاع العرب كانت عقوباتها بالغة القسوة، وكانت عقوبات الموت و الإسترقاق ومصادرة الأموال والأشغال الشاقة في السفن مدى الحياة أو لمدة ست سنوات هي أكثر العقوبات ذكرا في هذه القوانين حتى بالنسبة للمخالفات البسيطة كمخالفات حمل السلاح[2]، أما الباقون فكان مجرد الشبهة فيهم من مزراب حمام جار أو همس وشاية أو أوراق منسية أو عدم الصلاة في الكنيسة يكفي لتحويلهم إلى جحيم ديوان التفتيش[3] لقد كانت محاكم التفتيش والتحقيق مضرب المثل في الظلم والقهر والتعذيب، كانت تلك المحاكم والدواوين تلاحق المسلمين حتى تظفر بهم بأساليب بشعة تقشعر لها القلوب والأبدان، فإذا علم أن رجلا اغتسل يوم الجمعة يصدر في حقه حكم بالموت وإذا وجدوا رجلا لابسا للزينة يوم العيد عرفوا أنه مسلم فيصدر في حقه الإعدام، لقد تابع النصارى الصليبيون المسلمين حتى إنهم كانوا يكشفون عورة من يشكون أنه مسلم فإذا وجدوه مختونا أوكان أحد عائلته كذلك فيعلم أن الموت نهايته هو وأسرته[4]، وكان دستور ديوان التحقيق (الإسم الرسمي لمحاكم التفتيش)يجيزم حاكمة الموتى والغائبين وتصدر الأحكام في حقهم وتوقع العقوبات عليهم كالأحياء فتصادر أموالهم وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق، أونبش قبورهم وتستخرج لتحرق في موكب الأوتودافي وكذلك يتعدى أثر الأحكام الصادرة بالإدانة من المحكوم عليه إلى أسرته وولده، فيقضي بحرمانهم من تولي الوظائف العامة وامتهان بعض المهن الخاصة.

---

1. لوي كارديك، المرجع السابق، ص105.
2. أسعد حومد، المرجع السابق، ص ص350،351.
3. مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص155.
4. علي الصلابي، **دولة الموحدين**، ط1، دارالتوزيع والنشرالإسلامية، القاهرة، 2003، ص211.

وقد تسببت البيانات فيمحاكمة الآلاف من المتهمين الذين وقعوا في فخ الوشاية والحقد والإنتقام، وحكم عليهم بالسجن والجلد والإسترقاق والتهجير وكان من مظاهر مأساة الموريسكيين إجبارهم على تغيير أسمائهم العربية بأخرى مسيحية، وقد وجد هذا المظهر في سجلات محاكم التفتيش بحيث اكتشف أمر موريسكية واسمها لويزا الأزرق التي اختلط عليها أسماء زوجها وأولادها السبعة على أن تناديهم بأسماء لاتينية أمام أعضاء محاكم التفتيش فأحرقت وهي حية، كما أصدرت محكمة التفتيش بغرناطة في سنة 1526م البيان التالي:(نطالب من الآن فصاعدا كل الجراحين والأطباء والأشخاص المرخص إلا لهم بألا يقوموا بقطع مقدم عضو أي شخص دون إذن من الأسقف أو الحاكم، وكل من يخالف ذلك يعرض إلى النفي من المملكة،[1] ولو حاولنا إلقاء نظرة على بعض الإحصائيات المسجلة لرأينا ما لحق بموريسكي الأندلس من تسلط وتعنت كبيرين، فعلى سبيل المثال في طليطلة تم الحكم بالإعدام على 1200شخص في جلسة واحدة وفي مدينة آبلة تم حرق 113شخص خلال ثلاث سنوات (1502-1499م)، أما في إشبيلية فأولى الجلسات التي عقدت أصدرت أحكاما بالموت حرقا ضد 16متهم وخلال 08سنوات تم حرق 700 شخص والحكم بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة على 500شخص، وفي بلنسية خلال عام واحد 1558م مثل 259موريسكي أمام محاكم التفتيش وفي مرسية بلغ عدد الذين أحرقوا بين سنتي 1557-1563م أي 06سنوات 350موريسكيا لكنه لايمكن أن نعمم الحديث عن محاكم التفتيش في كل المقاطعات فهناك إختلافات كبيرة بين كوينكا وطليطلة من جهة وبلنسية وأراغون وغرناطة من جهة أخرى، فسنة1570م حوكم 300موريسكي منهم 80 بالمئة من غرناطة ومن هنا نستنتج أن موريسكيي غرناطة إحتلوا الصدارة في المعاناة والمطاردة.[2]

فقد كان عمال محاكم التفتيش يكتفون في العادة بشهادة شخصين ضد رجل أو امرأة اتهم بممارسة الهرطقة قبل الشروع بتنفيذ المهمة الموكلة إلى العمال كان هؤلاء ينطلقون إلى منزل المتهم أوالمتهمة في ظلمة الليل ثم يقرعون الباب ويطلب المعرفون من أهله السماح لهم بدخول البيت والاجتماع إلى الشخص

1.حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص94،95.

2.جمال يحياوي، المرجع السابق، ص ص81،82.

المطلوب، فإذا اجتمعوا إليه طلبوا منه ارتداء ملابسه والانطلاق معهم بهدوء وإن احتج المتهم أو رفض فتح الباب دخلوا المنزل عنوة وكمموا فاه بواسطة آلة خاصة تشبه الاجاصة ويمكن توسيعها أوتضييقها بواسطة مفاتيح خاصة مما يضمن للمعرفين صمت المتهم حتى ولو حاول الصياح بأعلى صوته المخنوق لقوله تعالى:(قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)[1].

كانت نشاطات محاكم التفتيش في بدايتها ولذا فإن الاعتقال الصامت كان على جانب كبير من الأهمية لئلا يثير خوف الجيران أو حتى الاستنصار للمتهم وتخليصه من المعرفين ومن اعتقل بهذه الطريقة نقل إلى قصر محكمة التفتيش في المدينة المعنية وبدأت مرحلة جديدة من حياته يمكن أن تستمر سنوات عديدة وقلما كان أهل المعتقل يتمكنون من زيارة المتهم خلال فترة التحقيق ثم تطور الأمر فيما بعد حتى أصبح أهل المتهم أو المتهمة أول من ينكر معرفتهم به ولم يكن غير الصمت إجابة على سؤال الجيران والأقارب على مصيره وقد لا يشاهد أهل المتهم قريبهم إلا وهو مربوط إلى منعة الإحراق بعد الانتهاء من التحقيق معه[2]، وإلى جانب التعذيب الوحشي والشتم والازدراء نجد التنكيل بالمتهمين الذين كانوا يساقون في الساحات العمومية وهم يلبسون لباس العار وحتى الأموات لم يسلموا من تعنت محاكم التفتيش، فمن غرائب المحاكمات "محاكمة الأموات" إذ يعاقبون مثل الأحياء ويخرجون من قبورهم ليحرقوا وما وقع لقائد ثورة غرناطة عند إلقاء القبض عليه خير دليل فقد أعدم وعلقت جثته ثلاثين يوما في الساحة العمومية، أما عن العقوبات النهائية فكانت جد قاسية مقارنة مع التهم المبلغ عنها فهي تتراوح بين مصادرة الأملاك ودفع غرامات مالية باهضة والتجديف في البحار بدون مقابل إلى الموت حرقا والغريب في الأمر أن قرارات وأحكام كمحاكم التفتيش تعتبر نهائية وغير قابلة للاعتراض دون نقاش أو مجادلة[3]، وابتليت غرناطة بسيسنيروس هذه الشخصية التي سيطرت على التاريخ الديني لاسبانيا في عهد الملكين وهو الذي تغذى

1.سورة الأنعام الآية "150".

2.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص ص80،81.

3.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق، ص ص80،81.

بلبن الحقد في الكنيسة على كل ما هو إسلامي ومن هناك غامرته فكرة الحرب المقدسة وقد أظهر من الحماس والمباركة لقهر مسلمي الأندلس ما جعل الملكين ينفذان خططه الجهنمية دون مناقشة، فهو الذي ارتكب أفظع جريمة حضارية في غرناطة إذ جمع الكتب العربية أكداسا في باب الرملة وأضرم فيها النيران ولم ينجو منها إلى 300كتاب في الطب والعلوم حملها إلى الجامعة التي أنشأها في قلعة هنارس ALKALA DE HANARES وهو الذي حول مسجد البيازين الشهير إلى كنيسة سان سلفادور SAN SALVADOR التي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا.[1]

أما عن المظاهر فهي:

-إذا سمعنا أن الدين المحمدي هو الأحسن، وأنه لا يوجد غيره للوصول إلى الجنة.

-وأن المسيح كان نبيا وليس إلها وأن والدته لم تكن عذراء.

-وأنه إذا سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم يقومون ببعض طقوس أعياد الدين المحمدي مثل الاحتفال بيوم الجمعة بأكلهم اللحم وقولهم أنه حلال وكذلك تزينهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من الأيام الأخرى.[2]

-أو أن يولي وجهه شطر الشرق قائلا: باسم الله، أو إذا أوثق أرجل الحيوان قبل ذبحه،أو رفض أكل ما لم يذبح أو ما ذبحته امرأة أو ختن أولاده أوسماهم بأسماء عربية أو أعرب عن أمنيته من اتباع تلك السنة.

-أو إذا قال:بأنه يجب ألا يعتقد إنسان إلا في الله وحده وأن محمدا عليه الصلاة والسلام عبده ورسوله، أو إذا أقسم بما في القرآن أو إذا صام شهر رمضان وتصدق خلاله، وكان لا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب أو إذا تسحر ليلا أو قام للوضوء.

-أو إذا تسحر ليلا أو قام للوضوء أو إذا صلى وولى وجهه شطر المشرق.

---

1. المرجع نفسه،ص ص83،84.
2. لوي كارديلك، المرجع السابق،ص ص214،215.

-والطهارة، قراءة كتب عربية [1]أو أن يتزوج طبقا لرسوم الشريعة الإسلامية.

-أو أن ينشر الأغاني العربية أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية.

-أو أن تستعمل النساء الحناء في صبغ أيديهن وشعورهن أو يتبع قواعد محمد عليه الصلاة والسلام الخمس أو يمسح بيده على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذا لهذه القاعدة أو يغسل الموتى أو يكفنهم بأثواب جديدة أو يستغيث بمحمد عليه الصلاة والسلام عند الشدة ناعتا إياه بالنبي أو برسول الله..أو يقول إن الكعبة هي أول معابد الله،[2] أو دفن في أرض بكر أو وضعهم في قبور من الحجر مضطجعين على جنوبهم وأسندوا رؤوسهم إلى الحجارة أو إذا غطوا قبورهم بالغصون الخضراء.

-أو إذا قال بأنه لم يتنصر وهو لا يؤمن بالدين المقدس المسيحية أو قال بأن أبائه وأجداده قد فازوا برضى الله وقد ماتوا على الإسلام.[3]

- مصادرة الأملاك:

فإنه عندما يوقف مفتشو دواوين لتحقيق أحد المشبوهين بتهمة الارتداد الفاسد والكفر فإنهم يصادرون كل أملاكه في الحال في الحال، إن الصيغة التي وضعت لذلك وطبعت في أواخر القرن السادس عشر قد سلمت إلى المأمور تنص على ما يلي:"ثم تصادرون كل أملاكه المنقول منها والعقار أين وجدت يساعدكم في ذلك جابي محكمة دواوين التفتيش"،[4] وبالإضافة إلى ذلك فإن المأمور وجب عليه أن يستولي في نفس الوقت من السجين نفسه مبلغ 20دوكا وإذا لم يتمكن من جمع هذا المبلغ فإنه يلجأ عندئذ إلى بيع علني لبعض أملاك الموريسكي حتى يستكمل ذلك المبلغ

1.محمد رزوق، المرجع السابق، ص84.
2.أسعد حومد، المرجع السابق، ص345.
3.محمد علي قطب، المرجع السابق، ص49.
4.لوي كارديك، المرجع السابق، ص108.

والكاثوليك لم يكونوا يجهلون المصاعب التي تنتظرهم في هذه المنطقة، والحرب التي يجب أن تنقل إليها تحتاج إلى مصاريف ضخمة ووسائل وأساليب جديدة لفض أقفال هذه الخزينة الحديدية في الأندلس الإسلامي،

[1]لهذا انتبه آغابيدا فقال:"في هذه الحرب المقدسة تظهر الحاجة قوية لكي تكون الكنيسة مزدهرة وكهنتها متحمسين كي يجلبوا المال بكميات كبيرة، ويحرضوا الجيوش كي تذهب بأعداد غفيرة أيضا وتزويد هؤلاء بالمال لا يمكن أن تأتي ثماره بإنقاص مخزون الكنيسة بل من ثمار مؤسسات التفتيش المجيدة ولأجل هذا الغرض انطلق كلاب التفتيش ورهبانهم للبحث عن طرائد جديدة لإغناء الكنيسة.[2]

2- المراسيم الملكية لاضطهاد المسلمين ومطاردتهم:

قد أورد للورنتي نص سلسلة من الأوامرالتي أصدرها عاهلا اسبانيا نقلا عن المجاميع الرسمية الملكية:

1- في يوم الثلاثاء اليوم العشرين من شهر يوليو سنة 1501م الموافق 04محرم سنة 907هـ صدر أمر من الملكين بمنع وجود المسلمين في مملكة غرناطة وقد اختارهما أي الملكين الله لتطهيرها من الكفرة، كما أنه يحظر عليهم أي المسلمين أن يتصلوا بغيرهم خشية أن يتأخر تنصيرهم ويحظر عليهم أيضا الاتصال بمن تنصروا لئلا يفسد عليهم إيمانهم بمخالطتهم، وكل من خالف تلك الأوامر فجزاؤه الموت وتصادر أملاكه.[3]

2-في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر فبراير(شباط) سنة 1502م الموافق الثالث عشر من شهر رمضان سنة 908هـ صدر أمر ملكي آخر يحتم على كل مسلم حر يبلغ الرابعة عشر من عمره إن كان ذكرا والثانية عشر من سنها إن كانت أنثى أن يغادر مملكة غرناطة قبل أول شهر مايو أيار التالي على أنه يسمح لمن يريد الخروج أن يتصرف في ماله وأملاكه على أن لا يكون الخروج إلى شمال إفريقيا التي كانت في حرب قائمة مع اسبانيا في ذلك الحين وليكن الخروج إلى بلاد أخرى وكل مخالفة للأمر تجعل صاحبها عرضة

1.يقصد بها غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس ووجد الكاثوليك صعوبة كبيرة لاسقاطها.

2.واشنطن إيرقينغ، **أخبار سقوط غرناطة**، تر:هاني يحي نصري، ط1، بيروت، 2000، ض303.

3.علي مظهر، المرجع السابق، ص26.

للموت والمصادرة ولتمييز الأرقاء من الأحرار تقيد أرجلهم بقيود من حديد حتى عرفوا ولوحظ أن كثيرا من متنصرة العرب، وهم الذين تظاهروا باعتناق النصرانية كانوا يبيعون أملاكهم ويفرون إلى افريقية فصدر أمر جديد:

3-في اليوم الثاني عشر من سبتمبر أيلول سنة 1502م الموافق التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة 909هـ صدر أمر ملكي يحظر على الناس التصرف في أملاكهم قبل مضي عامين، كما يحظر عليهم أن يغادروا مملكة قشتالة إلا إلى مملكتي الأراغون والبرتغال.[1]

كانت غاية خايمي الثاني تثبيتهم على العقيدة المسيحية فأصدر قرارا بذلك في نوفمبر1297م وعمل على نشر العبرية والعربية في الكاتدرائيات والأديرة وخصوصا في شاطبة لتعليم اليهود والمورو، أمر الملك بأن يخالف المورو المسيحيين في طريقة ركوبهم الفرس ولباسهم وفي رسالة ملكية مؤرخة ب:15 أفريل 1298م كما أعطى أوامره بمحاكمة المورو الذين يخالفون القوانين السائدة ويحدثون الأعراف المتداولة بينهم سابقا لم تبقى الكنيسة الكاثوليكية مكتوفة الأيدي ولا محايدة أمام ما يجري في اسبانيا من محاولة دمج الغالب والمغلوب، فمهدت إلى عملية تنصيرهم انطلاقا من أوامر البابا كليمنتي الخامس في مجلس الأساقفة بفيينا الذي دعى سنة 1311م لإنشاء كاتدرائيات يهودية عربية بمختلف الجامعات من بينها جامعة سلامنكا، منع المسلون الذين بقوا على دينهم من ذكر اسم محمد عليه الصلاة والسلام جهرا والآذان للصلاة في مساجدهم وأضرحتهم انطلاقا من هذا القانون سن الملك دون خايمي الثاني مشابها ببلنسية .[2]

فرسم البابا في الثاني عشر من شهر مارس آذار عام 1524م الموافق 06من جمادى الأولى سنة 920هـ، بحث رجال التفتيش(قضاته ومفتشيه) بأن يعطلوا بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية(الكاثوليكية) ومن أبى من المسلمين فعليه أن يخرج من اسبانيا وأمهلوهم مدة فمن لم يعتنق

1.محمد علي قطب، المرجع السابق، ص ص45،46.

2.دون باسكوال بورونات إي براتشينا، **الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم**، تر:كنزة الغالي،ج1، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، 2012، مركز العمودي للترجمة، ص ص102،103.

المسيحية أثناءها كان جزاؤه أن يصبح رقيقا عبدا طوال حياته وأمر البابا في ختام مرسومه بجعل كل المساجد هناك كنائس،[1] إلا أن سلسلة الاظطهادات لم تنقطع فقد صدر أمر إلى متنصرة المسلمين في اليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر تشرين الأول سنة 1525م الموافق 04 من محرم سنة 932هـ يحظر عليهم بيع الذهب والفضة والحرير والحلي والأحجار الثمينة والمواشي وأشياء أخرى ذكرت في المرسوم، ثم أعقب ذلك أمر صدر في الثامن عشر من نوفمبر تشرين الثاني من نفس العام الموافق الثاني من صفر يوجب على المسيحيين أن يبلغوا(الديوان المقدس)كل ما يأتيه المتنصرون من ردة أو مخالفة للمسيحية، وأما ما يوجب الشبهة في سلوكهم وألزم المسلمون بوضع شارة زرقاء في قبعاتهم وبتسليم كل أسلحتهم وحظر عليهم حيازة شيئ منها بعد ومن ضبط معه سلاح فجزاؤه الجلد، كما ألزمهم المرسوم بالسجود في الطرقات إذا مامر أمامهم حبر كبير وألزموا أيضا أن لا يجهروا بشعائرهم إذا أقاموها وأن يغلقوا مساجدهم وجوامعهم[2]وفي سنة 1331م صدر قرار الملك ألفونسو بطرد المدجنين أنفسهم من بلنسية لأنه كان يعرف بأن المورو يوفرون الحماية للقراصنة وقد طلب البلاط من الملك السماح لهم بتجنيد الساكنة لمواجهتهم وطردهم نحو الشواطئ حيث يحتمي القراصنة وقد وسمح لهم بذلك في نهاية 1386م بعد عمليات متكررة للقراصنة في اتجاه شواطئ بلنسية.[3]

وفي قانون صدر07يناير 1469م ورد الآتي:"لا يمكننا إلا أن نتفق على حل واحد القضاء النهائي وإبادة جنس المورو وقد ورد في أحد بنود هذا القانون أن الملوك الكاثوليكيين قد أقسموا على تطهير اسبانيا من المسلمين"، ونظرا للظروف السائدة في غرناطة بدأ الملكان يخططان لفرض قوانين بشأن المدجنين مع مراعاة الفكر التحرري المتسامح لأن العقود السابقة كانت تفرض عليهم حماية المورو الذين كانت تربطهم وشائح ومعاهدات على عهد الملك إنريكي الرابع.

1.محمد علي قطب، المرجع السابق، ص51.

2.المرجع نفسه،ص ص52،53.

3.دون باسكوال بورنات إي براتشينا، المرجع السابق، ص103.

في عهده اتخذ حراسه من المورو فقلدهم في مظهرهم وطريقة لباسهم وعاداتهم وتغاضى عن احتقارهم لأوامر الملوك الذين سبقوه وإساءتهم لصور القديسة والقديسين، [1]كما صدر قانون يحرم على الموريسكيين بيع الحرير والذهب،الفضة والأحجار الكريمة ولا يجوز بيع الأراضي والأملاك والتصرف فيها بأي شكل من الأشكال مع دفع الضرائب المضاعفة ومصادرة الأملاك ونفي الموريسكيين بموجب قرار صادر سنة 1570م، وشمل هذا القرار حوالي 80ألف شخص.[2]

وقد أصدرت السلطات الكنسية قرارا يعاقب كل من يملك كتابا باللغة العربية أو يتعامل بها ومثل هذه التهمة أصبحت كفيلة بجر صاحبها إلى حبل مشانق محاكم التفتيش أورمي المتهم في مجمرة ليحرق حيا كما يفعلون وقد أصدرت السلطات الكنسية بمقاطعة أراغون في 15فبراير1593م قرارا تدعوا فيه كافة المرتدين والمدجنين من الموريسكيين إذا أرادوا التماس العفو من قداسة الكنيسة أن يخرجوا كل ما يملكونه من الكتب العربية حتى تغفر خطاياهم وتزول من حولهم شبهة الاتهام والمتابعة، وبموجب هذا النداء الرسمي المصحوب بالوعد والوعيد تقدم العديد من المتنصرين غصبا عن إرادتهم إلى الحفل المقدس بما يملكون من كتب تعد محظورة وذلك قصد جر المترددين من الموريسكيين، لكن البعض الآخر من الموريسكيين أصر على الاحتفاظ بها وإخفائها ويبقى مع كل ذلك أن مثل هذه القرارات المجحفة في حق الإنسان والإنسانية كانت تصدر باسم قداسة الكنيسة حامية حمى الدين والأخلاق وكانت تمارس وتنفذ بزبانية أشربت قلوبهم على حب الانتقام من كل ما يمت للإسلام بصلة.[3] ولم ينثن ديوان التفتيش في بلنسية عن غيره وكان يطمح في القضاء على الجالية الكبيرة من متنصرة المسلمين هناك واشتد الديوان في مطاردتهم واضطهادهم من حين إلى حين فكان المسلمون يلجئون إما إلى المقاومة، وإما إلى بذل المال فدية عن أنفسهم وسعى لمساعدتهم أحد المتنصرين من المسلمين المدعو كوسمي بن عامر وكان له نفوذ في البلاط الملكي لاتصاله به، لأنه كان من النبلاء فصدر أمر ملكي في سنة 1571م الموافق978هـ وفيه معنى العفو عمن ارتد منهم عن المسيحية

1.المرجع نفسه، ص109.

2.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق،ص75.

3.عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص44،45.

هم وذريتهم من مصادرة الأموال إذا هم ارتدوا، ولم يستثن من ذلك رجال الدين والفقهاء ومن اختتن منهم ومن أتهم وكان رهن المحاكمة فلا مصادرة إذا قبض عليهم وفي نظير ذلك تعهد المتنصرون أن يدفعوا لخزانة الديوان خمسمائة وألفين من الدوكات كل سنة.[1]

لقد جعل المجلس الملكي عام 1595م يقرر في حق المتنصرين هذا القرار الواضح الأبعاد والهادف إلى استئصال اللغة العربية فيقول:"الذين اعتنقوا المسيحية عليهم أن يتخلوا على اللغة العربية إجباريا" ويرى الدكتور استيفان "أن اللغة العربية تقف كحاجز منيع أمام ارتدادهم إلى النصرانية "، إنه كما يلاحظ شعور طبيعي بالخوف من فعالية هذا المجهول وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بلغة العدو، لقد بات الأمر بالنسبة للنصارى في منتهى الخطورة لأنه بالإمكان أن يدبر بها أمر ما قد يهدد استقرار المملكة وقد حذر من مثل هذا المطب أو المنزلق عالمهم المتعصب لضرورة الوحدة الدكتور استيفان الذي ما فتئ يكرر:"العربية حذار إنها فرصة سانحة لهم كي يدبروا بواسطتها ضدنا أخطارا جساما"، وقريب من هذا التحذير المشوب بالحيرة ما زاد في التأكيد عليه في مطلع القرن السابع عشر الميلادي أسقف سيقوربي segorbe، دون فيليثيانودي فقيرا فقد دعى وبصريح العبارة "أن لا تبقى الجماعة الموريسكية متكتلة بل يجب أن يتم ذلك بمحضر الحاكم المسيحي كما يجب أن تدار المشاورات فيما بينهم بلغتنا وليس بالعربية".[2]

المبحث الثالث:أهداف محاكم التفتيش ومن يدعمها .

1) أهدافها:

- إعلاء الكاثوليكية وإضعاف الإسلام:

إنها أنشأت لحماية نقاء العقيدة المسيحية في تلك الممالك ولم يحدث في اسبانيا أي جديد يتعلق بالميدان اللاهوتي، ولم يحاول أحد خلال القرن الخامس عشر الدعوة لدين جديد أو يقضي على دعائم

1.علي محمد قطب، المرجع السابق، ص56.

2.عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص39،40.

الدين القائم ومن ثم إحراقهم في أوربا(جان هوس،إيتين دولت، وميجيا سربت، جيوردانوبرونو..) عبروا عن أفكارهم المعادية لما عليه روما، أما من شنقوا وبعد ذلك أحرقوا على يد محاكم التفتيش الاسبانية فلم تصدر عنهم أية عقيدة أو نظرية، [1]والعمل على إعلاء الكاثوليكية في كل مكان والقضاء على جميع المذاهب الدينية الأخرى ولكن الكثيرين يعتقدون أن وجود منظمة مثل محاكم التفتيش ساهمت إلى حد كبير في انتشار الكاثوليكية في مناطق العالم الجديد واحتفاظها بالكثير من مناطق نفوذها السابقة، وهكذا فإن قشتالة كانت تستخدم الدين لنشر نفوذها السياسي ولكنها كانت في الوقت نفسه أداة جبارة لنشر الكاثوليكية مما أدى في النهاية إلى التضحية بقشتالة السياسية دفاعا عن الكاثولكية التي بقيت، في حين تبددت إمبراطورية قشتالة التي لم يعرف العالم إمبراطورية باتساعها، [2]وترى فيها دائما نوعا من الإنقاذ القومي وتطهيرا للدين والوطن من آثار الإسلام الأخيرة، [3]وفي إبادة تراث الإسلام والعرب المتنصرين وفي القضاء إلى الأبد على آثار تلك الدولة الإسلامية المجيدة، التي ازدهرت في اسبانيا زهاء ثمانية قرون وعلى حضارتها وآدابها وكل ذلك التراث العظيم الباهر[4]لقوله تعالى:" **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**".[5]

والتعصب الديني وإذ لم يكن السبب الوحيد في إنشائها إذ أن حرب غرناطة استنفذت أموال السلطة وترتب على إيزابيلا توفير المبالغ اللازمة لدفع مرتبات الجنود وأجور الخبراء الأجانب الذين استدعوا إلى قشتالة لإدارة المدافع وشق الطرقات وبناء الجسور، ويبدو أنها وجدت في محاكم التفتيش الوسيلة السهلة للحصول على مبالغ كبيرة من الأموال المصادرة التي وقع أصحابها ضحايا محاكم مدعاة للأسف فإيزابيلا كانت ملكة قديرة إلا أنها وقعت ضحية تعصبها.[6]

1.أمريكو كاسترو، **اسبانيا في تاريخها**، ط1، تر: علي إبراهيم منوفى، مراجعة: حامد أبوأحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص601.

2.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص215.

3.محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، المرجع السابق، ص309.

4.المرجع نفسه، ص310.

5.سورة التوبة الآية 32.

6.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص216.

وذلك للبحث عن المسلمين الذين ادعوا النصرانية وأخفوا الإسلام،[1]إذ أصبحت اسبانيا تؤمن أنه عليها واجب تطهير أرضها من المسلمين والإسلام الذي أصبحت تخشى منه ومن شبحه فعندما نلقي نظرة متفحصة على مجريات الأحداث في شبه الجزيرة الايبيرية بعد سقوط غرناطة نجد تلك الصبغة الدينية الظاهرة لدى المملكة الجديدة، فالقران السياسي بين إيزابيلا وفرديناند دفع بهما إلى توحيد شطري المملكة المسيحية وإظهارها بصيغة دينية ميزتها عن باقي ممالك عصر النهضة، وخولت لها ريادة العالم الأوروبي الذي كان يحتفظ بمفاتيح مشاريعه التوسعية في حجر البابوات وبذلك نجد أن محاكم التفتيش قد أخذت صكا على بياض(الضوء الأخضر) لتنفيذ سياستها الغاشمة لتكون تتويجا لانتصار المسيحية على الإسلام، وتواكب التطورات التي عرفتها اسبانيا منذ القران السياسي بين الملكين الكاثولكيين بل أصبحت هذه المحاكم تنظر في تلك الأعمال المروعة التي كانت ترتكبها والوسائل البربرية بعين الكبرياء والرضي،[2] فكانت مهمة هذه المحاكم الكنسية المروعة أن تعمل على حماية الدين(الكثلكة) ومطاردة الكفر والزيغ بكل ما وسعت،[3] وكان الاتجاه الذي تبناه فراي فرنسسكوخيماناس دوسينيروس وهو القاضي بتطبيق سياسة اعتناق منظمة وسريعة للموريسكيين ومنذ سنة 1499م والذي أنتج التعميد الجملي، [4]إن مشكل دواوين التفتيش كان بالتحديد أن يجعل من الموريسكيين مسيحيين صادقين ومؤمنين وليس فقط أنها كانت ترغب في إدخال نظام اجتماعي وديني ولكن أيضا كانت تطمح إلى كسب نظامهم الحقيقي.[5]

- الوحدة الاسبانية:

ففي سنة 1469م-874هـ تزوج فرديناند ملك الأراغون، إيزابيلا ملكة قشتالة وبهذا الزواج توحدت المملكتان في الأحداث والمسعى إذ توسعتا داخل المحيط الاسباني وذلك بالقضاء على مملكة

1.راغب السرجاني، المرجع السابق، ص697.
2.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق، ص ص68،69.
3.محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس**، المرجع السابق، ص314.
4.لوي كارديك، المرجع السابق، ص112.
5.المرجع نفسه، ص117.

غرناطة الإسلامية وخارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفوذهما على ممراته إن زواج فرديناند وإيزابيلا قد جمع بين مملكتين من الممالك الثلاث(قشتالة- الأراغون- البرتغال) التي صارت موجودة تحت سلطة تكاد تكون مشتركة، رغم أنه لم يؤد ذلك إلى توحيد مملكتي قشتالة وأراغون في دولة واحدة لأن مملكة أراغون استمرت في تكريس اهتمامها على جزر البحر المتوسط وعلى إيطاليا،[1] وارتبط المشكل الأندلسي باسبانيا خلال عهد الملكين الكاثوليكيين بمعطيات سياسية واقتصادية واجتماعية هيا التي حددت مسار السياسة الاسبانية اتجاه الجالية الإسلامية بها فاسبانيا كانت تبحث بقوة عن وحدتها السياسية متخطية بذلك كل الحواجز التي كانت تعوق هذه الوحدة[2].

لكن العرش القشتالي تمكن في النهاية من التغلب على بعض هذه الصعاب بفضل تحمسه للمسيحية وإخراجه للعرب والاستيلاء على الأراضي التي كانت بحوزتهم فكان إذن هذا العمل هو المحور الذي دارت حوله الوحدة العثمانية أولا والاسبانية ثانيا، إذ جعل من قشتالة مركز استقطاب لعدد من المتطوعين المتحمسين للمسيحية ظاهريا فالأطماع الاقتصادية هي التي كانت تحركهم وذلك بالاستيلاء على الأراضي المنتزعة من يد المسلمين فجلب العرش القشتالي بذلك الجنود والضباط، أي أنه أصبحت لديه الإدارة الفعالة التي تسيربه نحو الوحدة وقد تجسدت هذه الوضعية في عهد الملكة إيزابيلا الكاثولكية[3] .

- تهجير المسلمين وترحيلهم:

إن كل هذه المعاملات غير الإنسانية والملاحقات الجائرة والمصادرات لم تستطع كلها أن تجتث جذور العرب من الأندلس ولم تستطع حملهم على التخلي عن الأرض التي أنبتتهم وشهدت عظمتهم ومجدهم وازدهار حضارتهم لذلك اتجهت السياسة الاسبانية بدفع من الفاتيكان والكنيسة الى الأخذ بفكرة التخلص من العرب وطردهم من البلاد ، ولكن طرد مئات الألوف من الناس المستقرين المتمسكين بالأرض ليس بالأمر السهل الإقدام عليه وهكذا بقيت فكرة طرد تظهر وتخبو وتقرر ويتراجع عنها إلى أن تم اتخاذ القرار

1.حنيفي هلايلي، **مقال الوحدة الاسبانية وبداية المأساة الموريسكية**، ص ص 02،01.
2.محمد رزوق، المرجع السابق، ص51.
3.المرجع نفسه، ص ص52،51.

النهائي ونفذ عام 1609 م بعد أن اتخذت الاحتياطات القوية لضمان نجاحه لكن السلطة لم تستطع أن تقدم عليه إلا بعد إن كانت التعسفات والمصادرات والملاحقات ديوان التفتيش قد أرهقت الشعب المسكين وأنهكت قواه وتركته قطيعا من الشحاذين والعبيد الهائمين على وجوههم في كل فج هربا من العذاب والاسترقاق ،[1] وقد كانت المقاطعات تتابع عن كثب ما يجري من إبادة ومجازر ومتابعات وتصفيات في بلنسية المقاومة وكانت تتأثر هي الأخرى بمجريات تلك الأحداث الجسام التي يعاني مرارتها إخوانهم في العقيدة فما كان منهم سوى أن تهافتوا على الأسواق بكل ما يمتلكون من غال أو نفيس مسارعين إلى التخلص منه بأبخس الأثمان مما هز وأربك انتظام القدرات الشرائية في الأسواق وأغرقها في مزادات علنية منخفضة العرض وهذا على الرغم من خروج عشرين ألف نسمة فارين قبل صدور قرار الترحيل الأمر الذي دفع بالملك إلى إصدار مرسوم ملكي شديد اللهجة يحرم بموجبه على الموريسكيين مواصلة بيع ممتلكاتهم ويحرم على المسيحيين شرائها[2].

لقد بدأت عملية الجلاء بمشاهد أقل ما يقال عنها أنها جد محزنة ومأساوية ،أو دية من البشر من مختلف الأصناف ، فقراء وأغنياء علماء وجهلة ، نساء ورجالا أطفالا وبناتا، شيوخا وعجائز يحف الجميع أنين ودوي جعل الشعراء يطلقون عليه أوصافا مجازية متعددة الأبعاد ، كالقطعان التائهة مثلا أو أزيز النحل ، إنها مسيرة محتومة يحيطها جو من الرعب والحقد لوجوه كالحة تتلمذ حقدا وكراهية تنتظر بفارغ الصبر لحظة الخلاص من هذا الخطر المتشبث باسبانيا الأرض التي يغادرونها مكرهين في ظروف عدائية بعد تسعة قرون عددا من الحضور المشرف والعطاء مستمر التجدد.[3]

---

1. أسعد حومد، المرجع السابق، ص351.
2. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص ص89،90.
3. نفسه، ص63.

الاسبانية، والدون ديجوديسا " المحقق العام" لديوان التحقيق،[1] وإن أول من نظم عقوبة دواوين التحقيق ضد الموريسكيين كان المفتش العام الخامس دون الفونسو مانريك، أسقف اشبيلية والذي أصبح فيما بعد كردينال الكنيسة الرومانية وقد فتح جبهة مكافحة اليهود واللوثريين والموريسكيين،[2] فالملك والكنيسة والجيش والقضاة والموظفون والشعب، كلهم يلاحقون العرب ويبتزون أموالهم بالباطل وكانت السلطة الملكية تسن القوانين الجائرة الغير المنطقية بحق العرب ليلجأوا إليها ويقدموا لها الرشاوى، لتوقف العمل بها أو تبطلها ولكنها لا تلبث بعد حين أن تعود إلى إصدار الأوامر الأخرى وفي نيتها أن تقبض مبالغ أخرى من المال ليتوقف العمل بها من جديد، [3]وكان معظم عمالها من الكهنة الدومينيك الذين انهمكوا في محاولة مقاومة الهرطقة في قشتالة لاسيما في المناطق الجديدة التي تمكن مسيحيو الشمال والأروبيين من احتلالها في الأندلس إلا أن المقاومة كانت شاملة لاستمرار عمل محكمة التفتيش تلك وارتأت السلطات الملكية والمدنية على حد سواء اعتماد سياسة أكثر اعتدالا بالنسبة لأهل الأديان الأخرى[4].

وقد كان غرسية غومس شديد الحملة على العرب والمسلمين،[5] فالملوك والبابوات كل يسدي لصاحبه النصائح ويترك له الوصايا للسهر على تكثيف جهود محاكم التفتيش ومساعدتها في القيام بوظيفتها المقدسة، فهذا الملك فرناندو الكاثوليكي يترك وصيته لشارل الخامس يأمره بضرورة اختيار محققين أكفاء ومخلصين للإيمان الكاثوليكي لتضييق الخناق على طائفة محمد عليه الصلاة والسلام .. وذلك البابا كليمانت السابع ينصح الملك أن يكلف أعضاء ديوان التحقيق بإتمام عملية التنصير فورا أما الملكة إيزابيلا فماتت وهي توصي بمتابعة الحرب ضد أعداء الإيمان المسيحي وتقصد بذلك الموريسكيين، وقرينها الملك فرديناند لم يشد عن القاعدة فقد أوصى أولاده عام 1516م قائلا:" عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية"[6].

1.محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص314.

2.لوي كارديناك،المرجع السابق، ص114.

3.أسعد حومد، المرجع السابق، ص350.

4.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، 216.

5.حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس**، ط1، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ص245.

6.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق، ص 70.

فقد كانت الكنيسة تجيش دائما بنزعتها الصليبية القديمة رغبة في القضاء على البقية الباقية من الأمة الإسلامية في اسبانيا وتزعمت مسيرة التنصير التي بدأت منذ الاستيلاء على غرناطة، استطاعت أن تقضي على سياسة اسبانيا المسيحية صيغة الحرب الدينية المقدسة وأصبحت اسبانيا المسيحية تحت تأثير الحمية الدينية التي طبعتها وجعلت شغلها الشاغل، وهاجسها النابض عبر حياتها يتطلع دوما إلى أمنية الخلاص مما هو غير مسيحي وذلك بتطهير الدم المسيحي من بقايا العصور الخلاسية وقد ساهم الأحبار بدورهم في تأجيج نار الحقد، ودفع عجلة التنصير بالتأثير على الملوك فمنذ أن استولى فرديناند على غرناطة والأحبار يطلبون إليه بإلحاح أن يعمل على سحق طائفة محمد عليه الصلاة والسلام من اسبانيا، وأن يطلب منهم إما التنصير أو بيع أملاكهم والعبور إلى المغرب ونجح رجال الدين في مهمتهم بإقناع الملوك بأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصارى وبذلك وضعت الكنيسة ورجالها حدا لذلك التردد الذي ما لبثت السياسة الاسبانية تسلكه إزاء المسلمين، [1]وقد كانت أداة تنفيذ هذه السياسة الكاردينال سيسنروس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الاسبانية والأب ايرنادودي تالاضيرا مطران غرناطة بالإضافة إلى حاكم غرناطة الذي كان يقدم لهما كل المساعدة لتنفيذ خطتهما، غير أن الأول(سيسنروس) اشتهر من بين هؤلاء جميعا بما ارتكبه في حق المسلمين في غرناطة فبالإضافة إلى عمله الشنيع في حق المسلمين ارتكب أفضع جريمة حضارية.[2]

المبحث الرابع: سجون محاكم التفتيش .

1 – سجون محكم التفتيش:

- سجون التفتيش في اسبانيا:

يذكر بعض عارفي اسبانيا أنه يوجد إلى يومنا هذا في عدة مدن باسبانيا أبنية قديمة غريبة في هندستها وشكلها تباين ما حولها كل المباينة، كأنها مجموعة من قصور وأديرة وسجون معا فجدرانها ضخمة

1.نفسه، ص ص 89،88.

2.محمد رزوق، المرجع السابق، ص ص 58،57.

ونوافذها قد اعترضها حديد ضخم غليظ قد تصدأ، وإذا ولجت إحدى هذه الأبنية من الخلف رأيتها مؤلفة من عدة غرف صغيرة يوصل إليها بممر ضيق، ويصل النور إليها من(منور) صغير سقف كل غرفة، وقد أحكم سد المنور بثلاثة أدوار من غليظ الحديد عليها ويرى الزائر في أرض الممر فتحات صغيرة كل فتحة تبعد عن الأخرى نحو مترو نصف متر وقد أحكم سدها بالحديد الغليظ، وقد خصصت هذه الفتحات للمسجونين في الغرف السفلى تحت الممر وهي سجون سرية لا يهتدي إليها إلا رجال المحكمة والسجانون،[1]في البيت المقدس أو سجن محكمة التفتيش كان المحققون يبذلون كل المحاولات الممكنة لدب الرعب في قلب المتهم مما يضمن اعترافه السريع وكان جوا لسجن كافيا لإعطاء هذا الانطباع الأول فالغرفة المظلمة تذكر بالموت ومصدر الضوء الوحيد كان من شمعة على طاولة تحلق حولها عدد من عمال المحكمة، وإذا مثل المتهم أمام المحققين قرأ موظف عليه لائحة الاتهام والمحققون يراقبون بصمت عبر عينين تطلان من ثقبي غطاء الرأس،في البداية كان المحقق الأكبر يجلس يتصنع الاهتمام بأوراق بين يديه ولكنه يضع الأوراق جانبا بعد فترة ويبدأ الموظف في سؤال المتهم وتنهمر بعد ذلك أسئلة من المحققين[2].

كان البعض يستخدم لهجة قاسية بينما يستخدم آخر الرقة في توجيه الأسئلة ويطرحون على المتهم بعد ذلك بعض أصدقائه ومعارفه لا يهمه بأن أحدهم اعترفوا بمزاولة الهرطقة والإلحاد وأحيانا كان المتهم يوضع في زنزانة مع سجين آخر يكون في الحقيقة جاسوسا لعمال محكمة التفتيش ويحاول الأخير استدراج المتهم إلى الاعتراف وإذا أخفقت هذه المحاولات الأولية أحضر إلى قاعة تحقيق ثانية وأمطر بوابل من الأسئلة لعل ذلك يساهم في اضطرابه ووقوعه في المغالطات وإذا استمر المتهم في الانكار فيتحولوا للتجول معه في غرفة التعذيب ثم جرد من ثيابه وعرضت عليه أدوات التعذيب وطرق عملها فإذا استمر في الإنكار فإن تعذيبه الفعلي هو المرحلة الخامسة والأخيرة.[3]

ومهما يكن النهار رائعا والشمس طالعة مشرقة فإن الزائر لا يبصر شيئا في تلك الممرات والغرف

1.علي مظهر، المرجع السابق، ص53.
2.عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص216.
3.المرجع نفسه، ص217.

لشدة ظلمة المكان بل يجب أن يصطحب نوراكاشفا يضيء له الطريق أما الغرف فكانت تطلى بالشحم ويبدو أن ذلك كان بهدف منع السجين من تسلق الجدران للهرب، أو عمل أي أشرفي الحائط للنجاة.. ثم يرى بعض آلات التعذيب في كل مكان كالأسواط التي بها بعض قطع الحديد الشائك لجلد المسجونين واهراء لحومهم عن عظامهم.. وقدور من الحديد لعلها كانت لصهر الرصاص فيها وصبه على المعذبين، أو لغلي الماء أو الزيت لنفس الغرض،[1]فبعد التبليغ على المتهم البريئ والتبليغ يتم بواسطة الاعتراف الذي يسمعه القس يصدر النائب أمرا بالقبض على المبلغ ضده وزجه في سجن الديوان السري، والسجون السرية غاية في الشناعة تتصل مباشرة بغرف التحقيق والتعذيب عميقة ومظلمة، رطبة وممتلئة بالحشرات لتبدأ بعد ذلك أطوار المحاكمة الغريبة وقد كان القبض في حد ذاته عقوبة كبيرة فأملاك السجين كلها تصادر، وتصفى على الفور وتقطع علاقاته بالعالم الخارجي حتى تنتهي محاكمته.[2]

- سجون التفتيش في فرنسا:

اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في مدينة طلوشة(تولوز) سنة 1329م-729هـ لأول مرة أيام البابا جريجوريوس التاسع اجتماعا تمهيديا لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في دينه الكاثوليكي، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد جماعة الكاثوليك أمثال اليهود والبروتستانت وجماعة المفكرين والأحرار والمسلمين الذين كانوا باسبانيا والبرتغال، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة في مسيحيته وبدأ العمل به سنة 1333م-733هـ فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس بتعيين كاهن.[3]

- سجون التفتيش في البرتغال:

كانت محكمة ديوان التفتيش العامة في البرتغال بمدينة لشبونة في مكان الملعب الوطني اليوم، وقد شغلت أبنيتها كل الحي حتى إن أبوابها الخلفية كانت تصل إلى الطريق المؤدي لدير القديس أنطونيو، وقد

1.محمد علي قطب، المرجع السابق، ص 78،77.

2.جمال يحياوي، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين**، المرجع السابق، ص ص77،76.

3.علي مظهر، المرجع السابق، ص51.

بنيت هذه الدار بطريقة تؤدي الغرض من إنشائها فكانت ذات غرف عديدة وممرات مظلمة تحت الأرض

وفي وسطها أربع قاعات كبيرة فسيحة كل منها أربعون مترا مربعا، ويحيط بكل قاعة ثلاثة أروقة مؤلفة من ثلاثة أدوار وفي جدران تلك الأروقة أبواب صغيرة الواحد جوار الآخر كانت أبوابا للسجون.[1] فمن كانت ذنوبهم خفيفة سجنوا بالسجون العليا وهؤلاء يصلهم فيها قليل من النور وكان جلهم ممن قبض عليهم للبحث عن شؤونهم والتثبت من أمورهم لأن الديوان ما كان ليثق كثيرا بأي تهمة تصله ما لم تكن عن طريق أفراده وعيونه الذين عينهم، أما من وشى بهم غير الجواسيس فكانوا يزجون في تلك السجون العليا وكان الديوان يسعى للقبض على أعدائه الذين يرغب في التخلص منهم دفعة واحدة ليقتلهم، وأمثال أولئك المسجونين سجنا احتياطيا كانوا قلائل نادرين جدا وقل من قبضت عليه وأدخلته سجونها وخرج حيا منها.[2]

2- أنظمة السجون وقوانينها:

لم يكن لدى السجين سوى قطعة خشب طولها متران وعرضها متر ونصف المتر وهي سريره على الأرض ويعطى له غطاءان من الخيش، يفترش واحدا ويغطيه آخر وتعطى له قرميده أو قطعة من البلاط تكون وسادة له ويترك له إناءان يحوي أحدهما ماءا للشرب ويحفظ في الثاني بوله وبرازه، ويترك له إناء آخر للزيت يضع منه في المصباح الذي يلزم بإضاءته ليل نهار كي لا يميز بين الليل والنهار وكان يستعاض في سجون اسبانيا عن المصابيح الزيتية بالشموع ليذكر السجين بأنه أصبح في عداد الأموات.

1.محمد علي قطب، المرجع السابق، ص 79.

2.علي مظهر، المرجع السابق، ص 55،56.

3.محمد علي قطب،المرجع السابق،ص 82.

خاتمة:

إن تاريخ المسلمين في الأندلس بقدر ما كان حافلا بما حمله من فتوحات بقدر ما حمل من أحزان ففي أواخر أيام المسلمين في هذه المنطقة عرفوا الضعف والهوان كعادة كل الدول عبر التاريخ تمر بثلاثة مراحل أو كما قال المؤرخ عبدالرحمان ابن خلدون في مقدمته الشهيرة الدول ثلاثة مراحل مرحلة النشأة فالقوة وصولا إلى الضعف فالسقوط وفي معظم الأحيان تكون نفس الأسباب في هوان الدول ثم زوالها كالترف والمجون والركون إلى الراحة وسد الأمور إلى الضعاف كلها كانت أسباب في توالي سقوط المدن الأندلسية خاصة طليطلة التي قسمت ظهر الأندلس فهي مفتاح الشمال ثم بلنسية والطامة الكبرى كانت بسقوط قرطبة بعد كل هذا جاء الاستيلاء على المدن الأخرى أمرا عاديا وبعد استماتة كبيرة جاء الدور على غرناطة بعد توقيع شروط التسليم وسلمت المدينة لفرديناند فأصبح المسلمون مضطهدين في أرض بنوها بسواعدهم وشيدوا معالمها والتي لازال تراثهم شاهد على ذلك ولكن كل ذلك لم يشفع لهم أمام الحقد المدفون منذ وطئت رجلا لمسلمون الأندلس فكان المسيحيون يتحينون الفرص لضرب المسلمين وقهرهم وجاءتهم الفرصة مواتية فالمسلمون أصبحوا في هذه الفترة منهكين أمام كل التقلبات التي عرفوها طيلة ثمانية قرون، بعد أحداث غيرت مجرى التاريخ لتبدأ المعاناة الحقيقية للموريسكيين فالمسيحيون كانوا يعتبرونهم طبقة ثانية في المجتمع فمارسوا عليهم عديد السياسات من طرف البابوات من خلال سن المراسيم وكانت سياسة التنصير من أقسى ما اعتمدته المسيحية ضدهم لكن الموريسكيين لم يسكتوا على ذلك وكانت لهم ردود فعل من خلال الهجرة إلى مختلف المناطق المجاورة خاصة إلى المغرب العربي بدوله الثلاث تونس والجزائر والمغرب الأقصى، ثانيا اعتمدوا التقية هذا الأسلوب الذي آتى أكله في عديد المرات ويعني إخفاء الدين الإسلامي على المسيحيين وإظهار اتباعهم للمسيحية، أما الأسلوب الثالث فكان باستعمال القوة عن طريق عديد الثورات منها ثورة البيازين وثورة البشرات،وهذه الردود كانت طبيعية لأن ما فعل بالمسلمين كان في غاية القسوة والبشاعة كل هذا لم يزد محاكم التفتيش إلا قهرا لهم وعدوانا هذه المحاكم التي أنشأت منذ أوائل القرن الثالث عشر، ففي بدايتها اضطهدت اليهود ثم جاء دور المسلمين مع نهاية القرن الخامس عشر معتمدين في ذلك على أساليب جهنمية يندى لها الجبين فقد

أذلوا الموريسكيين أيما الإذلال ونهكوا أعراضهم وسلطوا عليهم أشد العقوبات متناسين في ذلك كل ضروب الإنسانية التي كانوا يتغنون بها حتى ليومنا هذا ولكن في الواقع شيئ آخر، فكانوا يعاقبون لأتفه الأسباب كقراءة المسلمين لكتب عربية أو دينية أو الاغتسال ليوم الجمعة أو ختان الأطفال فكل ما له علاقة أوصلة بالإسلام يعاقبون عليه، وكان سكان غرناطة الأكثر تعرضا للمعاناة والمطاردة عن غيرها من المقاطعات فكان عمالها في العادة يكتفون بشهادة شخص أو شخص ينضد رجل أو امرأة اتهم بممارسة الهرطقة قبل الشروع بتنفيذ المهمة الموكلة إلى العمال، وعندما يوقف مفتشو دواوين التحقيق أحد المشبوهين بتهمة الارتداد الفاسد و الكفر فإنهم يصادرون كل أملاكه وتلك المراسيم التي اضطهدت كثيرا الموريسكيين والتي كانت داعمة بشكل كبير لهذه المحاكم والكنيسة التي كانت تعطي لها الشرعية في الأعمال التي تقوم بها والكهنة والأحبار و الملوك كلهم كانوا يباركون أعمال محاكم التفتيش ويدعمونها بالمال وبكل الوسائل المتاحة ويختارون لها أكثر الأشخاص كرها للإسلام والمسلمين فكانت أهدافها واضحة للعلن من خلال اعلاء الكاثوليكية واذلال و اضعاف الإسلام والقضاء عليه، فقد ساهمت في نشر الكاثوليكية في مناطق العالم فكانوا يستخدمون الدين لنشر نفوذهم السياسي فكان التعصب الديني يحكمهم فكانوا يظنون أن من واجبهم تطهير اسبانيا من كلما له علاقة بالدين الإسلامي فكان هدفهم أن يجعلوا من الموريسكيين مسيحيين صادقين ومؤمنين فهم أرادوا تشتيت المسلمين واظهار وحدتهم تلك الوحدة التي تعززت بزواج ايزابيلا وفيرديناند وتواصلت بتهجير وترحيل المسلمين من الأرض التي عاشوا فيها وجعلوا منها جنة لم تحقق اسبانيا مثلها من قبل ولن تحقق، فكان التخلص منهم الغاية والهدف السامي الذي يحققونه فكان دور دواوين التفتيش جد مهم من خلال انشاء سجون في اسبانيا وحتى في الدول المجاورة لها كفرنسا والبرتغال ففي هذه الدولتين كانوا يقومون بتعذيب هؤلاء الموريسكيين بطلب من البابا لحماية الدين الكاثوليكي وفي اسبانيا بنيت السجون الضخمة وفيها أبشع آلات التعذيب كالأسلاك الشائكة كلها لارعاب المتهم من أجل الاعتراف وهناك أيضا سجن الديوان السري والسجون السرية غاية في الشناعة وفيها القوانين الصارمة وإذا أدخل أحد في هذه السجون فلن يخرج منها سالما، فالموريسكيون ومحاكم

التفتيش صراع بين دينين الإسلامي والمسيحي صراع بدأ ولن ينتهي مادام الطرفان موجودان في عالم واحدكل له مبادئه متمسك بها تناقض الآخر.

الملاحق

الملحق

رقم:

01

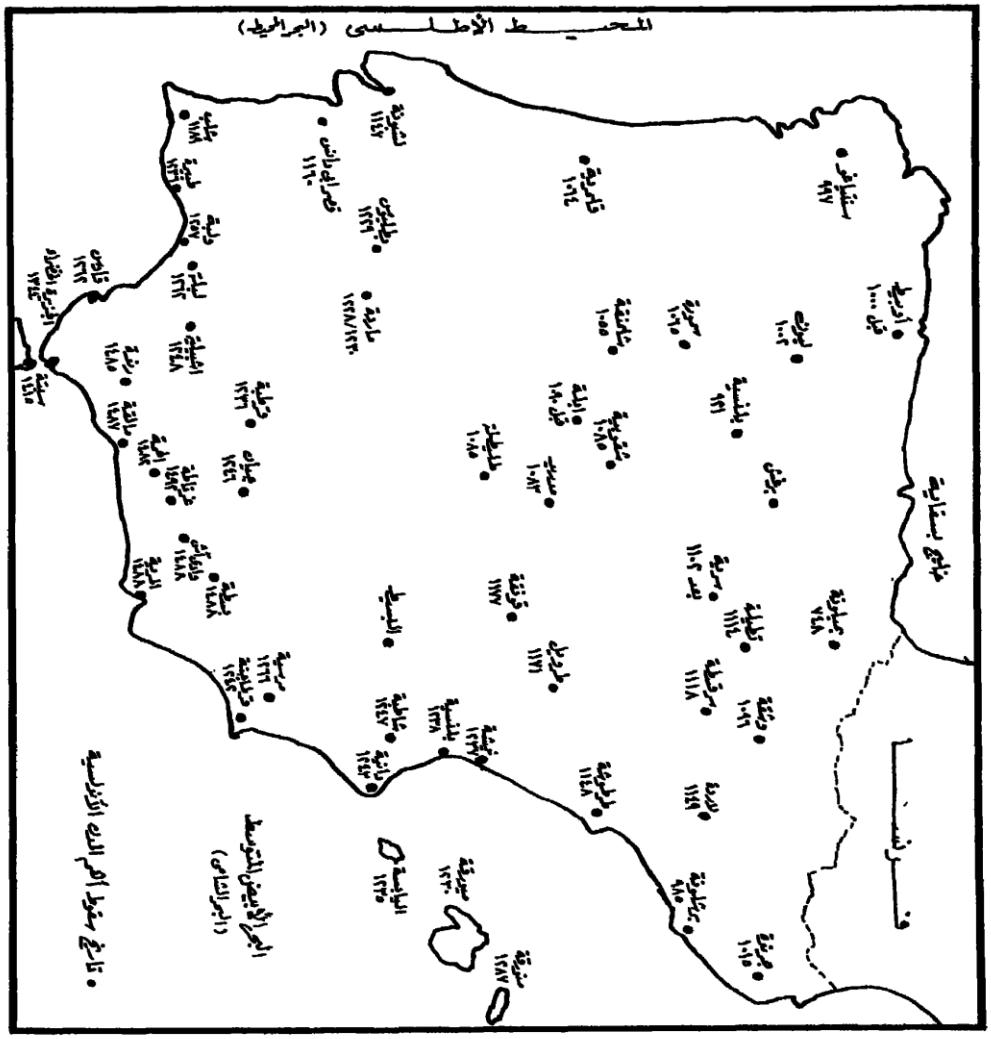

1. عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، 90 .

الملحق رقم:02

جنة العريف (غرناطة)

---

1. نفسه، ص 96 .

الملحق رقم:03

مضيق جبل طارق وضفتي العدوة الأندلسية والمغربية

1. عبد القادر بوحسون، المرجع السابق، ص 293 .

الملحق رقم:04

جزيرة طريف

1. نفسه، ص 294 .

المحق رقم:05

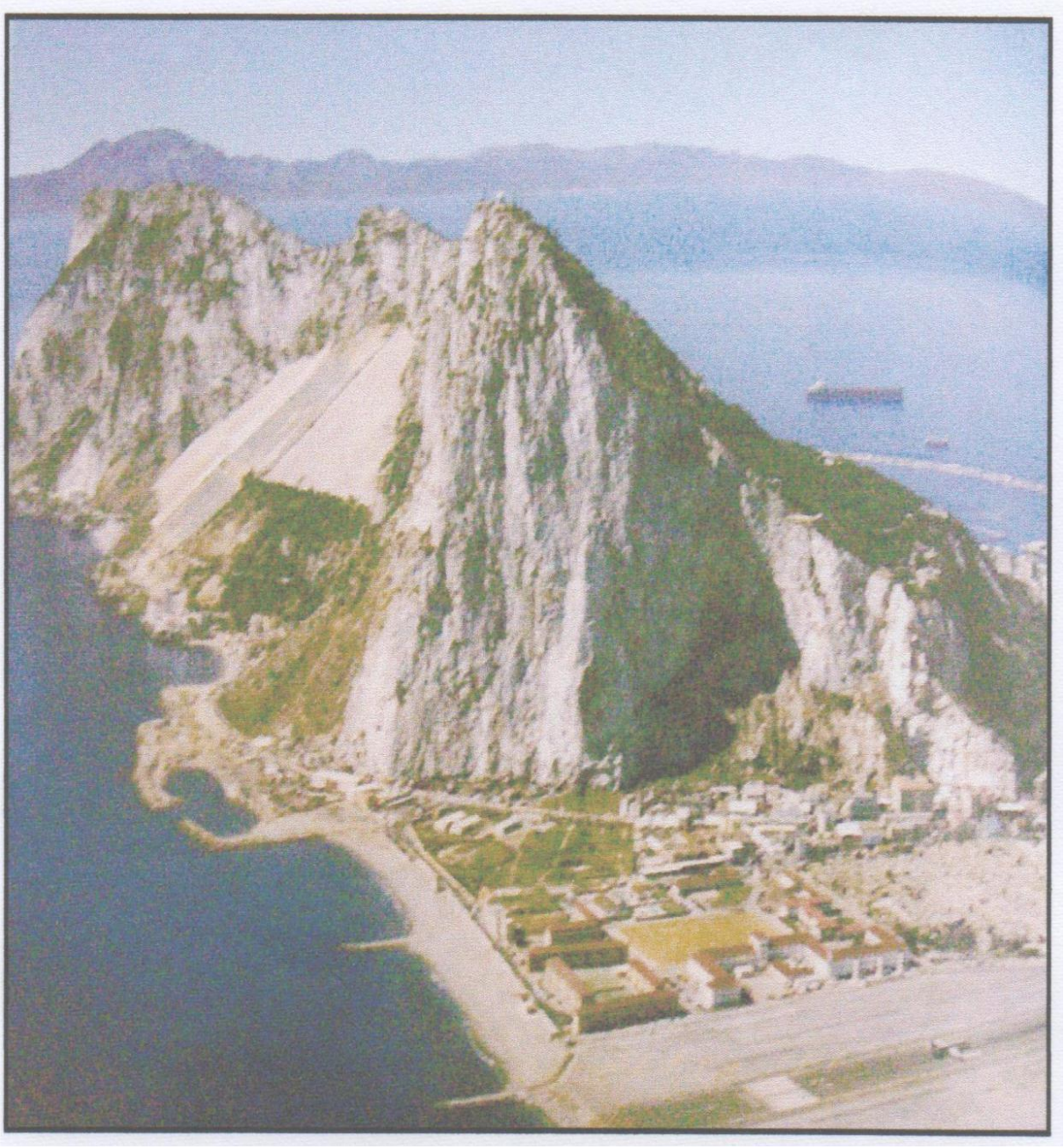

جبل طارق

1 نفسه، ص295 .

البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم .

أولا / المصادر :

- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ: تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة**، تحقيق: أبي عبد الله قاضي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987 .

- ابن الخطيب لسان الدين ، **أعمال الأعلام**، تحقيق و تعليق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف.

- ـــــــــ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901 .

- ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج1 الجزائر ،1990 .

- أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، **نزهة المشتاق**، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية والأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983 .

- الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، دار الجيل، بيروت،1988.

- المراكشي عبد الواحد ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان.

- المقري أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق محمد البقاعي ، ج1،ج4 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988 .

- مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تعليق: ألفريد البستاني، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2002.

ثانيا/ المرجع :

- ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت،1992.
- أمريكو كاسترو، **اسبانيا في تاريخها**، ط1، تر: علي إبراهيم منوفى، مراجعة: حامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002 .
- بشتاوي عادل سعيد ، **الأمة الأندلسية الشهيدة: تاريخ 100 عام من المواجهة والإضطهاد بعد سقوط غرناطة**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000
- ـــــــ ، **الأندلسيون المواركة**، القاهرة،2001 .
- بنثنت أنطونيو دومينقر هورتز وبيرنارد ، **تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون حياة ...ومأساة أقلية**، تر: عبد العال صالح طه، ط1، دار الأشراف للطبتعة والنشر،قطر، 1988.
- بيدرو لونقا، **الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين**، زغوان، 1993، ص40 .
- بيريز جوزيف ، **التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا**، جدة ،1415.
- حتاملة محمد عبده ، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة: دراسة شاملة**،الأردن،2000 .
- ـــــــ، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، عمان :الأردن، 2010 .
- الحجي عبد الرحمان ، **محاكم التفتيش الغاشمة و أساليبها**، د ط، الكويت، 1983 .
- حومد أسعد ، **محنة العرب في الأندلس وإسبانيا**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
- دعواتي أحمد ، **بنو عباد في اشبيلية**، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980.
- دومينغيث أنطونيو أورتيث وبيرنارد فانسون، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، تر: محمد بنيانة، ط1، أبوظبي، 2013.
- دون باسكوال بورونات إي براتشينا، **الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم**، تر:كنزة الغالي،ج1، ط1، دارالكتب العلمية، بيروت، 2002 .
- ذنون عبد الحكيم ، **آفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي**،ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988.

- رائف أحمد، **وتذكروا من الأندلس الإبادة**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1987 .
- رزوف محمد ، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17م**، الدار البيضاء،1991 .
- زيدان جرجي ، **فتح الأندلس**، دار الهلال، 1892.
- شاكر مصطفى،**الأندلس في التاريخ**، ط1، دار الاشبيلية، دمشق، 1990.
- الشهاب الحجري ، أحمد بن القاسم، **ناصر الدين على القوم الكافرين**، تحقيق: محمد رزوق، الدار البيضاء، 1987 .
- الصلابي علي محمد ، **أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين** ،ط 1 ، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2003 .
- العبادي أحمد مختار ، **تاريخ المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت .
- عبيد اسحاق، **محاكم التفتيش نشأتها ونشاطها**، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1978 .
- عنان محمد عبد الله ، **دولة الإسلام في الأندلس :نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**،ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997 .
- عويس عبد الحليم ،**التكاثر المادي و أثره في سقوط الأندلس**،ط1، دار الصحوة، القاهرة،1994.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، **تاريخ المغرب و الأندلس**، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، 1990
- فكري حمد ،**قرطبة في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية .
- قشتيلو محمد ، **حياة الموريسكيين الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها**، ط1، المغرب، 2001 .
- قطب محمد علي ، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس** .
- كرم علي، **غابر الاندلس وحاضرها** ، ط1، المكتبة الأهلية ، مصر، 1933.
- كولان ح.س ، **الأندلس**، ط1،دار الكتاب اللبناني،1980.
- الكيالي سامي ، **في الرجوع الأندلسية** ، حلب ،1963.
- محمد بن حسن بن عقيل موسى،**استجابات إسلامية اعرفات أندلسية**، دار الأندلس الخضراء
- المطوي محمد العروسي ، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1982

.

- مقديش محمود ، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، ط1، تج:علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،مج:1.
- **الموسوعة العربية الميسرة**، ط1، ج1، 1965 .
- مولينا لويس ، **ذكر بلاد الأندلس**،ج1، مدريد، 1983.
- مؤنس حسين ، **موسوعة تاريخ الأندلس**، ط1، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996 .
- ـــــــــ ، **الجغرافية و الجغرافيين في الأندلس**، ط2، مدريد، 1986.
- هارفي ليوناردو ، **تاريخ الموريسكيين السياسي والثقافي والإجتماعي**،ط1، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، 1998.
- هلايلي حنيفي، **التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2010 .
- ـــــــــ ، **الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين 16 و 17م: مقاربات جديدة في الهجرة والإسهام الحضاري**، ط1، دار الأصول للطبع والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014 .
- الهيام فارس، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، ط1، 1284.
- واشنطن إيرقينغ، **أخبار سقوط غرناطة**، تر:هاني يحي نصري، ط1، بيروت، 2000 .
- واشنطون ايرقينغ، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس**، ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- يحياوي جمال ، **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين 1492–1610م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004 .

ثالثا/ المجلات :

- دلباز محمد ، الموريسكيون : **الإيطار التاريخي والديني للتسمية**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 03-04، الجزائر، 2011.
- الشدادي، **سقوط غرناطة ومصير الأندلس**،مجلة المنطق، العدد 6-7 ،1993.
- نخبة من أبرز المتخصصين، **مجلة دراسات أندلسية وموريسكية**، العدد 1192، ط1، تر: جمال عبد الرحمن، القاهرة، 2008 .

رابعا/ الرسائل الجامعية :

- بوحسون عبد القادر ، **الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة تاريخية وثقافية {635هـ-897هـ/1238م-1492م}**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013 .
- دعواتي أحمد ، **بنو عباد في اشبيلية**، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980.

خامسا / المراجع باللغة الأجنبية:

- Martin Ravailloud, morisque bibliographie,paris, 1982.
- Diccionario dehistoria de espana, madrid, 1970.
- F. Braudel, la méditerranée et le monde méditerranéen à l'epoque de philipp 2, paris 1966.

الفـــهـــرس

الفهرس **رقم الصفحة**

شكر.....

اهداء.....

قائمة المختصرات.....

خطة البحث.....

مقدمة.....أ-ت

المدخل.....06-17

الفصل الأول: الموريسكيون و بداية المعانات

المبحث الأول: تعريف الوريسكيون..... 20-23

المبحث الثاني: سقوط غرناطة1492م.....24-2

المبحث الثالث: سياسة التنصير.....30-33

المبحث الرابع: ردود فعل الموريسكيون..... 34

1- الهجرة 34-35

2- التقية 36-37

3- الثورة.....28- 39

الفصل الثاني: محاكم التفتيش

المبحث الأول: تعريف و نشأة محاكم التفتيش.....42

1- تعريف محاكم التفتيش.....42-43

2- نشأة محاكم التفتيش.....43-46

المبحث الثاني: أساليب محاكم التفتيش 47

1- أساليبها.....47-59

2-المراسيم الملكية لإضطهاد المسلمين ومطاردتهم.....60-63

المبحث الثالث: أهداف محاكم التفتيش ومن يدعمها.....64

1- أهدافها..... 64-67

2- من يدعمها.....68-69

المبحث الرابع: سجون محاكم التفتيش.....70

1- سجون محاكم التفتيش 70-72

2- أنظمة السجون وقوانينها..... 73

الخاتمة.....75-77

الملاحق 79-83

قائمة المصادر والمراجع.....85-89

فهرس الموضوعات.....91-92